الهداية والاستقامة وأثرهما في اسعاد الانسان

إعداد

أ.د مُحَمَّد ابراهيم خليل السامرائي

أ. م. د خيال صالح حمد

كلية العلوم الاسلامية/ جامعة تكريت

بحث مقدم للمؤتمر القرآني الدولي السنوي (مقدس ٨).

نظمه مركز بحوث القرآن الكريم بجامعة ملايا، بالشراكة مع: كرسي الملك عبد الله بن عبد العزيز للقرآن الكريم بجامعة أم القرى.

الأربعاء والخميس ٥- ٦ ربيع الأول ١٤٤٠هـ، الموافق ١٤- ١٥ نوفمبر ٢٠١٨م.

ماليزيا- كوالالمبور

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

اما بعد.

فأن الهداية والاستقامة غاية كل مؤمن يريد الوصول الى مرضاة الله ودون الاستعانة بالله تعالى يعجز الانسان ان يستمر في المسير لذلك رزقنا الله ﷻ ان نسأله في كل يوم ان نعلن في صلاتنا اهدنا الصراط المستقيم فأحببنا ان نكتب في هاتين اللفظتين موضحين بعض ما تحملان من معاني مشرقة تضفي على المؤمن حياتاً هادئة هنية وقد تكفل الله ﷻ بإجابة الدعاء مع تكرمه في بيان اثر هذا الدعاء في السعادة المرجوة في الدنيا والآخرة لذلك جعلنا البحث مقسمٌ الى مباحث **خمسة كل مبحث يحتوي علة مطالب اسهاماً منا في المشاركة واثراء مؤتمركم هذا نسأل الله المولى القدير ان يوفقنا واياكم في خدمة الاسلام واهله.**

خطة البحث

وقد قسمنا البحث الى ما يأتي:

المبحث الاول: التعريفات ذات الصلة بالعنوان

المطلب الاول: الهداية في اللغة والاصطلاح

المطلب الثاني: الاستقامة في اللغة والاصطلاح

المطلب الثالث: الاسعاد في اللغة والاصطلاح

المبحث الثاني: لطائف الهداية في (اهدنا الصراط المستقيم)

المبحث الثالث: مراتب الهداية وانواعها

المطلب الاول: مراتب الهداية

المطلب الثاني: انواع الهداية

المبحث الرابع: الهداية من الله تبارك وتعالى

المبحث الخامس: اثر الهداية والاستقامة على اسعاد الانسان

المطلب الاول: اثر الهداية والاستقامة على اسعاد الانسان في الدنيا

المطلب الثاني: اثر الهداية والاستقامة على اسعاد الانسان في الآخرة

المطلب الثالث: الهداية الموصلة الى سعادة الانسان

اهم النتائج

بسم الله الرحمن الرحيم

المبحث الاول: التعريفات

المطلب الاول: الهداية في اللغة والاصطلاح

اولاً: الهداية في اللغة:

هدى: قَالَ اللَّيْث: الهُدَى: نقيض الضَّلَالَة. وَيُقَال: هُدِيَ فاهْتَدَى[1].

وَقَالَ الزّجاج فِي قَول الله ﷻ: {قُلِ اللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ}[2] يُقَال: هَدَيْتُ إِلَى الْحق، وهدَيْتُ للحق، بِمَعْنى وَاحِد؛ لِأَن هَدَيْتُ يتعدّى إِلَى المهْدِيّين، وَالْحق يتعدَّى بِحرف جرّ، الْمَعْنى الله يَهدِي من يَشَاء إِلَى الْحق، والهُدى: الرشادُ والدلالةُ، يؤنَّث ويذكَّر. يقال: هَداهُ الله للدين هدى[3].

قال ابْن الأعرابيّ: الهُدَى: البَيان، والهُدَى: إِخْرَاج شَيْء إِلَى شَيْء، والهُدَى أَيْضا: الطَّاعَة والوَرَع. والهُدَى الْهَادِي فِي قَوْله جلّ وعزّ: {أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى}[4] أَي هادِياً، قلت: والطريقُ يسمَّى هُدًى[5].

وَالْهِدَايَة هِيَ التَّمَكُّن من الْوُصُول الى الطريق. والهدى الدلالة فإذا كان مستقيما فهو دلالة إلى الصواب والايمان هدى لأنه دلالة إلى الجنة. [6]

ومعنى الهداية فِي اللغة: الدلالة، يقال: هداه فِي الدين يهديه هدى، وهداه يهديه هداية، إذا دله على الطريق[7].

وقيل: إن الهدى اسم من أسماء النهار، لأن الناس يهتدون فيه لمعايشهم وجميع مآربهم[8].

وَالْهِدَايَةُ: الْإِرْشَادُ وَالتَّوْفِيقُ، وَقَدْ تَعَدَّى الْهِدَايَةُ بِنَفْسِهَا كَمَا في قوله تعالى:{اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}[9] فَتَضَمَّنُ مَعْنَى أَلْهِمْنَا، أَوْ وَفِّقْنَا، أَوِ ارْزُقْنَا، أَوِ اعْطِنَا؛ {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ}[10] أَيْ: بَيَّنَّا لَهُ

---

(١) مقاييس اللغة٦/ ٤٢

(٢) (يُونس: ٣٥)

(٣) الصحاح ٦/ ٢٥٣٣.

(٤) طه: ١٠.

(٥) تهذيب اللغة ٦/ ٢٠١

(٦) ينظر: الفروق اللغوية ١/ ٢٠٩

(٧) التفسير الوسيط لواحدي ١/ ٦٨.

(٨) تفسير القرطبي ١/ ١٦٠.

(٩) الفاتحة: الآية: ٦.

(١٠) الْبَلَدِ: ١٠.

الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، وَقَدْ تَعَدَّى بإلى، كَقَوْلِهِ تَعَالَى:{اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}[١] {فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ}[٢] وَذَلِكَ بِمَعْنَى الْإِرْشَادِ وَالدَّلَالَةِ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى:{وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}[٣] وَقَدْ تَعَدَّى بِاللَّامِ، كَقَوْلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا}[٤] أَيْ وَفَّقَنَا لِهَذَا وَجَعَلَنَا لَهُ أَهْلًا[٥].

ثانياً: الهداية في الاصطلاح:

الهداية: الدلالة على طريق الرّشد[٦]، والمهديّ من عرف الحق سبحانه، وآثر رضاه، وآمن به[٧].

والهداية في الحقيقة إمالة القلب من الباطل إلى الحقّ، وذلك من خصائص قدرة الحقّ- سبحانه- وتطلق الهداية بمعنى الدعاء إلى الحق- توسّعاً[٨].

وَقَالَ أَبُو عبيد: فِي حَدِيث النَّبِي عَلَيْهِ السَّلَام أَنه خرج فِي مَرضه الَّذِي مَاتَ فِيهِ يهادى بَين اثْنَيْنِ حَتَّى أُدخِل الْمَسْجِد، يَعْنِي أَنه كَانَ يعْتَمد عَلَيْهِمَا من ضعفه وتمايُله وَكَذَلِكَ كل من فعل ذَلِك بِأحد فَهُوَ يهاديه[٩].

والهداية: الدلالة على الطريق المبلغة إلى المكان المقصود السير إليه.[١٠]

وفي {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}[١١]: أي ثبتنا على الهدى وقال بعضهم: زدنا هدى والصراط المستقيم المنهاج الواضح.

و{صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ}: أي ثبتنا على هدى الذين انعمت عليهم أي بالإيمان والهدى[١٢].

---

(١) النَّحْلِ: ١٢١.

(٢) الصَّافَّاتِ: ٢٣.

(٣) الشُّورَى: ٥٢.

(٤) الْأَعْرَافِ: ٤٣.

(٥) ابن كثير ١/ ١٣٧

(٦) تفسير ابن فورك ٣/ ١٩٩

(٧) تفسير القشيري ١/ ٤٩

(٨) القشيري ٣/ ٧٣.

(٩) ابن سلام ٢/ ١٨٥.

(١٠) التحرير ٣٠/ ٣٥٤.

(١١) الفاتحة: الآية: ٦.

(١٢) الزاهر في غريب الفاظ الشافعي ١/ ٦٧.

فقد يكون أنه إِنَّمَا سمى الْعَصَا هاديًا لِأَنَّهُ يُمسكها بِيَدِهِ فَهِيَ تهديه تتقدمه وَقد يكون من الهِداية – أَي أَنَّهَا تدله على الطَّرِيق وَكَذَلِكَ الدَّلِيل يُسمى هاديًا لِأَنَّهُ يقدم الْقَوْم ويتبعونه وَيكون أَن يهْدِيهم للطريق[1].

وطلبوا دوام الهداية، أو زيادتها، أو الهداية إلى طريق الجنة في الآخرة، أو طلبوها إخلاصاً للرغبة، ورجاء ثواب الدعاء[2].

وقد قيل إن حقيقة الهداية الدلالة على الطريق للوصول إلى المكان المقصود فالهادي هو العارف بالطرق وفي حديث الهجرة الذي اخرجه البخاري في صحيحه: «إن أبا بكر استأجر رجلا من بني الديل هادياً خريتاً[3]»[4] وإن ما نشأ من معاني الهداية هو مجازات شاع استعمالها.

والهداية في اصطلاح الشرع حين تسند إلى الله تعالى هي الدلالة على ما يرضي الله من فعل الخير ويقابلها الضلالة وهي التغرير[5].

وفي قوله تعالى: (اهْدِنَا) أربعة معان: أحدها: ثبتنا. قاله عليّ، وأبيّ. والثاني: أرشدنا. والثالث: وفقنا. والرابع: ألهمنا. رويت هذه الثلاثة عن ابن عباس[6].

المطلب الثاني: الاستقامة في اللغة والاصطلاح

اولاً: الاستقامة في اللغة:

الاسْتِقَامَةُ: الاعْتدالُ، يُقَالُ: اسْتَقَامَ لَهُ الأَمر. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ}[7] أَيْ فِي التَّوَجُّه إِلَيْهِ دُونَ الآلهةِ، وقَامَ الشيءُ واسْتَقَامَ: اعْتدَل وَاسْتَوَى، وَقَوْلُهُ تَعَالَى:{إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا}[8]؛ مَعْنَى قَوْلِهِ اسْتَقَامُوا عَمِلُوا بِطَاعَتِهِ ولَزِموا سُنة نَبِيَّهُ، ﷺ[9].

وَقَالَ الأَسود بْنُ مَالِكٍ: ثُمَّ اسْتَقَامُوا لَمْ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَقَالَ قَتَادَةُ: اسْتَقَامُوا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ[1].

---

(١) غريب الحيث لابن سلام ١/ ٢٥٢.

(٢) تفسير العز بن عبد السلام ١/ ٩٢

(٣) الْخِرِّيتُ: الْمَاهِرُ الَّذِي يَهْتَدي لِأَخْرَاتِ الْمَفَازَةِ، وَهِيَ طُرُقُها الخفيَّة ومَضايقُها. وَقِيلَ: إِنَّهُ يَهتدي لمثْل حَرْتِ الإبْرة مِنَ الطَّرِيقِ. النهاية في غريب الحديث ٢/ ١٩.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الاجارة، بَابُ إِذَا اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا لِيَعْمَلَ لَهُ بَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ، أَوْ بَعْدَ شَهْرٍ، أَوْ بَعْدَ سَنَةٍ جَازَ ٣/ ٨٩ برقم(٢٢٦٤).

(٥) التحرير ١/ ١٨٨.

(٦) زاد المسير ١/ ٢٠.

(٧) سورة فصلت: من الآية: ٦.

(٨) سورة الاحقاف: من الآية: ١٣.

(٩) المحكم والمحيط الاعظم ٦/ ٥٩٠.

ثانياً: الاستقامة في الاصطلاح

استقاموا أي: أخلصوا العمل لله، وعملوا بطاعة الله تعالى على ما شرع الله لهم[٢].

والاستقامة: الاعتدال وعدم الزيغ والانحراف عن الحق بوجه من الوجوه لا في الاعتقاد ولا في الأخلاق ولا في الأعمال، ومنه الصراط المستقيم للطريق السوي الذي يوصل سالكه الى المطلوب البتة، فالاستقامة لفظ مختصر شامل لجميع الشرائع من الإتيان بالمأمورات والاجتناب عن المنهيات على سبيل الدوام والثبات[٣].

وقوله تعالى:{ثُمَّ اسْتَقَامُوا} أي إن الذين أقروا بربوبية الله وتوحيده، فهو الله وحده لا شريك له، ثم داموا على التوحيد، فلم يلتفتوا إلى إله غير الله، واستقاموا وثبتوا على أمر الله، فعملوا بطاعته، واجتنبوا معصيته، حتى ماتوا، وهذا يشمل التزام أحكام الشرع الحنيف في العقائد والعبادات والمعاملات والمحظورات قولاً وفعلاً، لأن الاستقامة لفظ عام[٤].

وسئل أبو بكر الصديق ﷺ عن الاستقامة فقال: أن لا تشرك بالله شيئاً، وقال عمر بن الخطاب ﷺ: الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي، ولا تروغ روغان الثعلب، وقال عثمان بن عفان ﷺ: أخلصوا العمل لله، وقال علي ﷺ: أدوا الفرائض، وقال ابن عباس: استقاموا على أداء الفرائض[٥]، وقال الحسن: استقاموا على أمر الله تعالى فعملوا بطاعته واجتنبوا معصيته، وقال مجاهد وعكرمة استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله حتى لحقوا بالله[٦]، وقال الربيع: أعرضوا عما سوى الله، وقال الفضيل بن عياض: زهدوا في الفانية ورغبوا في الباقية، وقيل: استقاموا إسراراً كما استقاموا إقراراً. وقيل: استقاموا فعلاً كما استقاموا قولاً[٧].

فالاستقامة كلمة جامعة لكل ما يتعلق بالعلم والعمل والأخلاق الفاضلة[٨].

والاستقامة: الاعتدال، والسين والتاء فيها للمبالغة مثل: أجاب واستجاب. والمراد هنا الاعتدال المجازي وهو اعتدال الأمور النفسانية من التقوى ومكارم الأخلاق، وإنما أمر بالاستقامة، أي الدوام عليها، للإشارة إلى أن كمال الدعوة إلى الحق لا يحصل إلا إذا كان الداعي مستقيما في نفسه[١].

---

(١) لسان العرب ١٢/ ٤٩٨.

(٢) تفسير ابن كثير ٧/ ١٧٥.

(٣) التفسير المظهري ٨/ ٢٩٢.

(٤) التفسير المنير للزحيلي ٢٤/ ٢٢٣.

(٥) السراج المنير ٣/ ٥١٦.

(٦) تفسير البغوي ٤/ ١٣٢، وتفسير القرطبي ١٥/ ٣٥٨.

(٧) القرطبي١٥/ ٣٥٨.

(٨) المراغي ١٢/ ٩٠.

المطلب الثالث: الاسعاد في اللغة والاصطلاح:

أولاً: الإسعاد في اللغة:

السعادة: خلاف الشقاوة، والسعيد: نقيضه الشقي، والسعد: هو اليُمن ونقيضه النحس.

وسعيد بِمَعْنى مَسْعُود من سَعَده الله؛ وَيجوز أَن يكون من سَعِد يَسْعَد فَهُوَ سعيد[٢].

والسَعْدُ: اليُمْنُ. تقول: سَعَدَ يومنا، بالفتح يَسْعَدُ سُعوداً، والسُعودَةُ: خلافُ النُحوسَةِ. واسْتَسْعَدَ الرجل برؤية فلانٍ، أي عدّه سَعْداً، والسَعادَةُ: خلاف الشَقاوَةِ[٣] تقول منه: سَعِدَ الرجل بالكسر، فهو سعيد، مثل سلم فهو سليم. وسعُد بالضم فهو مسعود وأسعده الله فهو مَسْعودٌ، ويقال مُسْعَدٌ، كأنَّهم استَغنوا عنه بِمَسْعودٍ. والإسعادُ: الإعانةُ[٤].

ثانياً: الإسعاد في الاصطلاح

السعادة: هي ما يجده القلب من الطمأنينة عند تنزل الغيب، وهي نور في القلب يسكن إلى شاهده ويطمئن صاحبه في الدنيا بالإيمان، وفي الآخرة بالنظر إلى وجه الرحمن ﷻ، ودخول الجنة[٥].

السَّعَادَة، وَهِي معاونة الْأُمُور الإلهية للْإِنْسَان على نيل الْخَيْر[٦].

المبحث الثاني: لطائف الهداية في (اهدنا الصراط المستقيم)

اهْدِنَا رغبة لأنها من المربوب إلى الرب، وهكذا صيغة الأمر كلها، فإذا كانت من الأعلى فهي أمر، والهداية في اللغة الإرشاد، لكنها تتصرف على وجوه يعبر عنها المفسرون بغير لفظ الإرشاد، وكلها إذا تؤملت رجعت إلى الإرشاد، فالهدى يجيء بمعنى خلق الإيمان في القلب، ومنه قوله تعالى: {أُولئِكَ عَلى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ}[٧] وقوله تعالى: {وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلى دارِ السَّلامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ}[٨] وقوله تعالى: {إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ}[١] وقوله تعالى: {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ}[٢].

---

(١) التحرير والتنوير ٢٥/ ٦١.

(٢) تهذيب اللغة ٢/ ٤٤- ٤٥.

(٣) الصحاح تاج اللغة ٢/ ٤٨٧، ولسان العرب ٣/ ٢١٣، القاموس المحيط ١/ ٢٨٨.

(٤) الصحاح تاج اللغة ٢/ ٤٨٧.

(٥) تفسير الماتريدي ١/ ١٦٠.

(٦) الكليات ١/ ٥٠٦

(٧) البقرة: ٥.

(٨) يونس: ٢٥.

قال أبو المعالي: فهذه آية لا يتجه حملها إلا على خلق الإيمان في القلب، وهو محض الإرشاد.

قال القاضي أبو مُحَمَّد رحمه الله: وقد جاء الهدى بمعنى الدعاء، من ذلك قوله تعالى:{وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ}[٣] أي داع وقوله تعالى: {وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ}[٤]وهذا أيضا يبين فيه الإرشاد، لأنه ابتداء إرشاد، أجاب المدعو أو لم يجب، وقد جاء الهدى بمعنى الإلهام، من ذلك قوله تعالى: {أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدى}[٥].

قال المفسرون: معناه «ألهم الحيوانات كلها إلى منافعها» . وهذا أيضا بين فيه معنى الإرشاد، وقد جاء الهدى بمعنى البيان، من ذلك قوله تعالى: {وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْناهُمْ}[٦]

قال المفسرون: «معناه بينا لهم» . قال أبو المعالي: معناه دعوناهم ومن ذلك قوله تعالى: {إِنَّ عَلَيْنا لَلْهُدى}[٧] أي علينا أن نبين، وفي هذا كله معنى الإرشاد.

قال أبو المعالي: وقد ترد الهداية والمراد بها إرشاد المؤمنين إلى مسالك الجنان والطرق المفضية إليها، من ذلك قوله تعالى في صفة المجاهدين: {فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمالَهُمْ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بالَهُمْ}[٨] ومنه قوله تعالى: {فَاهْدُوهُمْ إِلى صِراطِ الْجَحِيمِ}[٩] معناه فاسلكوهم إليها.

قال القاضي أبو مُحَمَّد عبد الحق: وهذه الهداية بعينها هي التي تقال في طرق الدنيا، وهي ضد الضلال وهي الواقعة في قوله تعالى:{اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ} على صحيح التأويل، وذلك بين من لفظ الصِّراطَ[١٠]، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَكْمَلَ الْمَطَالِبِ هُوَ الْهِدَايَةُ فِي الدِّينِ[١١].

وبما ان الانسان مركب من جسد وروح فكان على الجسد أن يكون آتيا بأعمال تعين الروح على اكتساب السعادات الروحانية الباقية، وتلك الأعمال هي أن يكون الجسد آتيا بأعمال تدل على تعظيم المعبود وخدمته، وتلك الأعمال هي العبادة، فأحسن أحوال العبد في هذه الدنيا أن يكون مواظبا على

---

(١) القصص:٥٦.

(٢) الأنعام: ١٢٥.

(٣) الرعد: ٧.

(٤) الشورى: ٥٢.

(٥) طه: ٥.

(٦) فصلت: ١٧. .

(٧) الليل: ١٢.

(٨) مُحَمَّد:٥.

(٩) الصافات: ٢٣.

(١٠) المحرر الوجيز ابن عطية ١/ ٧٣.

(١١) تفسير الرازي ١/ ١٥٩.

العبادات، وهذه أول درجات سعادة الإنسان، وأن الهداية لا تحصل إلا من الله، وأنوار المكاشفات والتجلي لا تحصل إلا بهداية الله للعبد.

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِمَّنْ تَقَدَّمَ وَصْفُهُمْ وَنَعْتُهُمْ، وَهُمْ أَهْلُ الْهِدَايَةِ وَالِاسْتِقَامَةِ وَالطَّاعَةِ لِلَّهِ وَرُسُلِهِ، وَامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَتَرْكِ نَوَاهِيهِ وَزَوَاجِرِهِ، غَيْرِ صِرَاطِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ، وَهُمُ الَّذِينَ فَسَدَتْ إِرَادَتُهُمْ، فَعَلِمُوا الْحَقَّ وَعَدَلُوا عَنْهُ، وَلَا صِرَاطِ الضَّالِّينَ وَهُمُ الَّذِينَ فَقَدُوا الْعِلْمَ فَهُمْ هَائِمُونَ فِي الضَّلَالَةِ لَا يَهْتَدُونَ إِلَى الْحَقِّ، وأكد الكلام بلا لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّ ثَمَّ مَسْلَكَيْنِ فَاسِدَيْنِ، وَهُمَا طَرِيقَتَا الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى[1].

طريق الذين أنعمت عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، فهم أهل الهداية والاستقامة، ولا تجعلنا ممن سلك طريق المغضوب عليهم، الذين عرفوا الحق ولم يعملوا به، وهم اليهود، ومن كان على شاكلتهم، والضالين، وهم الذين لم يهتدوا عن جهل منهم، فضلوا الطريق، وهم النصارى، ومن اتبع سنتهم[2].

والأصل في الهداية: أن عند الله لطفاً، من أعطي ذلك اهتدى، وهو التوفيق والعصمة، ومن حُرِم ذلك ولم يُعطه، ضل وغوى، ويكون استيجاب العذاب وما ذكر؛ لتركه الرغبة في ذلك، والاستخفاف به، وتضييعه واشتغاله بضده؛ لذلك كان ما ذكرنا، والله أعلم[3].

ومن لطائف اهدنا الصراط المستقيم:

اللطيفة الاولى: أن المنهج الحق في الاعتقادات وفي الأعمال هو الصراط المستقيم، أما في الاعتقادات فبيانه من وجوه: **الأول:** أن من توغل في التنزيه وقع في التعطيل ونفي الصفات، ومن توغل في الإثبات وقع في التشبيه وإثبات الجسمية والمكان، فهما طرفان معوجان، والصراط المستقيم الإقرار الخالي عن التشبيه والتعطيل، **والثاني:** أن من قال فعل العبد كله منه فقد وقع في القدر، ومن قال لا فعل للعبد فقد وقع في الجبر وهما طرفان معوجان، والصراط المستقيم إثبات الفعل للعبد مع الإقرار بأن الكل بقضاء الله، وأما في **الأعمال** فنقول: من بالغ في الأعمال الشهوانية وقع في الفجور، ومن بالغ في تركها وقع في الجمود، والصراط المستقيم هو الوسط، وهو العفة، وأيضا من بالغ في الأعمال الغضبية وقع في التهور، ومن بالغ في تركها وقع في الجبن، والصراط المستقيم هو الوسط، وهو الشجاعة.

اللطيفة الثانية: أن ذلك الصراط المستقيم وصفه بصفتين أولاهما إيجابية، والأخرى سلبية أما **الإيجابية:** فكون ذلك الصراط صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وأما **السلبية:** فهي أن تكون بخلاف صراط الذين فسدت قواهم العملية بارتكاب الشهوات حتى

---

(١) تفسير ابن كثير ١/ ١٤٠.

(٢) التفسير الميسر ١/ ١.

(٣) تفسير الماتريدي ٨/ ٦٩٨.

استوجبوا غضب الله عليهم، وبخلاف صراط الذين فسدت قواهم النظرية حتى ضلوا عن العقائد الحقية والمعارف اليقينية.

اللطيفة الثالثة: قال بعضهم: إنه لما قال: اهدنا الصراط المستقيم لم يقتصر عليه، بل قال: صراط الذين أنعمت عليهم وهذا يدل على أن المريد لا سبيل له إلى الوصول إلى مقامات الهداية والمكاشفة إلا إذا اقتدى بشيخ يهديه إلى سواء السبيل ويجنبه عن مواقع الأغاليط والأضاليل، وذلك لأن النقص غالب على أكثر الخلق، وعقولهم غير وافية بإدراك الحق وتمييز الصواب عن الغلط، فلا بد من كامل يقتدي به الناقص حتى يتقوى عقل ذلك الناقص بنور عقل ذلك الكامل، فحينئذ يصل إلى مدارج السعادات ومعارج الكمالات[1].

ثم إن أهل الدنيا فريقان: **أحدهما:** الذين لا يعبدون أحداً إلا الله ولا يستعينون إلا بالله ولا يطلبون الأغراض والمقاصد إلا من الله، **والفرقة الثانية،** الذين يخدمون الخلق ويستعينوا بهم ويطلبون الخير منهم، فلا جرم العبد يقول: إلهي اجعلني في زمرة الفرقة الأولى، وهم الذين أنعمت عليهم بهذه الأنوار الربانية والجلايا النورانية، ولا تجعلني في زمرة الفرقة الثانية وهم المغضوب عليهم والضالون، فإن متابعة هذه الفرقة لا تفيد إلا الخسار والهلاك كما قال إبراهيم عليه السلام: لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا؟ والله أعلم[2].

وفي المراد بالصّراط ها هنا أربعة أقوال:

أحدها: أنه كتاب الله، رواه عليّ عن النبيّ ﷺ. **والثاني:** أنه دين الاسلام. قاله ابن مسعود، وابن عباس، والحسن، وأبو العالية في آخرين.

والثالث: أنه الطريق الهادي إلى دين الله، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. **والرابع:** أنه طريق الجنة، نقل عن ابن عباس أيضاً. فان قيل: ما معنى سؤال المسلمين الهداية وهم مهتدون؟ فعنه ثلاثة أجوبة: **أحدها:** أن المعنى: إهدنا لزوم الصراط، فحذف اللزوم. قاله ابن الأنباري. **والثاني:** أن المعنى: ثبتنا على الهدى، تقول العرب للقائم: قم حتى آتيك، أي: اثبت على حالك. **والثالث:** أن المعنى: زدنا هداية[3].

المبحث الثالث: مراتب الهداية وانواعها

المطلب الاول: مراتب الهداية

بين ابن القيم – رحمه الله – أن مراتب الهدى في القرآن أربع مراتب.

---

(١) الرازي ١/ ١٦٤

(٢) الرازي ١/ ١٦٧.

(٣) زاد المسير ١/ ٢١.

المرتبة الأولى: الهدى العام، وهو هداية كل نفس إلى مصالح معاشها وما يقيمها، وهذا أعم مرتبة والدليل عليها قوله تعالى:{أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى}[1] وقوله: {الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى}[2].

المرتبة الثانية: الهدى بمعنى البيان والدلالة والتعليم والدعوة إلى مصالح العبد في معاده، وهذا خاص بالمكلفين والدليل عليها قوله تعالى:{وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى}[3] وقوله تعالى: {وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}[4].

المرتبة الثالثة: الهداية المستلزمة للاهتداء وهي هداية التوفيق ومشيئة الله لعبده الهداية وخلقه دواعي الهدى والقدرة عليه للعبد وهذه الهداية لا يقدر عليها إلا الله ﷻ، ودليلها قوله تعالى: {إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ}[5]

المرتبة الرابعة: الهداية يوم المعاد إلى الجنة والنار، دليلها قوله تعالى: {احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ}[6] وقوله تعالى:{وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ}[7]،[8] .

وقوله تعالى:{إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ}[9] أي: ما هذا القرآن الكريم، إلا تذكير وإرشاد وهدايات للبشر جميعا، وهذا الذكر العظيم إنما هو لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ أي: هو نافع لمن شاء منكم- أيها الناس- أن يستقيم على طريق الحق، وأن يلزم الرشاد ويترك الضلال.

والجملة الكريمة بدل مما قبلها، للإشعار بأن الذين استجابوا لهدى القرآن قد شاءوا لأنفسهم الهداية والاستقامة، فالمقصود بهذه الجملة: الثناء عليهم، والتنويه بشأنهم.

ثم ختم- سبحانه- ببيان أن مشيئته- تعالى- هي النافذة، فقال:{وَما تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ}[10] أي: وما تشاءون الاستقامة أو غيرها، إلا إذا شاءها وأرادها الله- تعالى- رب

---

(١) طه : من الآية: ٥٠.

(٢) الاعلى: الآيتان:٢- ٣.

(٣) فصلت: من الآية:١٧.

(٤) الشورى: من الآية:٥٢.

(٥) القصص: من الآية:٥٦.

(٦) الصافات: الآيتان: ٢٢- ٢٣.

(٧) مُحَمَّد: الآيتان:٤- ٥.

(٨) الانتصار في الرد على المعتزلة ١/ ٢٨٦.

(٩) التكوير: الآية:٢٧.

(١٠) التكوير: الآية:٢٩.

العالمين، إذ مشيئة الله- تعالى- هي النافذة، أما مشيئتكم فلا وزن لها إلا إذا أذنت بها مشيئته- تعالى- فالمقصود من الآية الكريمة بيان أن كل مشيئة لا قيمة لها ولا وزن إلا إذا أيدتها مشيئة الله ﷻ[1].

المطلب الثاني: انواع الهداية

منح الله تعالى الإنسان أربع هدايات يتوصل بها إلى سعادته في الدنيا والآخرة:

(أولاها): هداية الوجدان الطبيعي والإلهام الفطري: وتكون للطفل منذ ولادته، فهو يشعر بالحاجة إلى الغذاء ويصرخ طالبا له، وعندما يصل الثدي إلى فيه يلهم التقامه وامتصاصه.

(الثانية): هداية الحواس والمشاعر: وهي متممة لهداية الأولى في الحياة الحيوانية، ويشارك الإنسان فيها الحيوان الأعجم، بل هما في الحيوان أتم منهما في الإنسان، اذ الهام وحواس الحيوان يكملان بعد ولادته بقليل، ويحصلان في الإنسان تدريجيا وبزمن غير قصير.

(الهداية الثالثة): العقل: وهى هداية أعلى من هداية الحس والإلهام، فالإنسان قد خلق ليعيش مجتمعا مع غيره، وحواسّه وإلهامه لا يكفيان لهذه الحياة، فلا بد له من العقل الذي يصحح له أغلاط الحواس، والعقل هو الذي يصحح غلط الحواس والمشاعر ويبين أسبابه.

(الهداية الرابعة): الدين والشرائع: وهى هداية لا بد منها لمن استرقّت الأهواء عقله، وسخّر نفسه للذاته وشهواته، وسلك مسالك الشرور والآثام، وعدا على بنى جنسه، فيجعلها مسخرة لشهواته ولذاته حتى تورده موارد الهلكة، فاحتاج إلى هداية الدين التي تفضل الله بها عليه ووهبه إياها[2] يغلط العقل في إدراكه كما تغلط الحواس، وقد يهمل الإنسان استخدام حواسه وعقله فيما فيه سعادته الشخصية النوعية ويسلك بهذه الهدايات مسالك الضلال، وأشار القرآن الكريم إلى أنواع الهداية التي وهبها الله تعالى للإنسان في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ}[3] أي طريقي السعادة والشقاوة والخير والشر وهذه تشتمل هداية الحواس الظاهرة والباطنة وهداية العقل وهداية الدين. ومنها قوله تعالى:{وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى}[4] أي دللناهم على طريقي الخير والشر، فسلكوا سبل الشر المعبر عنه بالعمى..."[5]

وإن كان الله تبارك وتعالى قد منح هذه الهدايات الأربع لكل فرد من أفراد الإنسان، إلا أن هناك هداية خامسة، هي هداية خاصة لم تمنح للكافة، بل اختص الله تعالى بها بعض خلقه، وهذه الهداية

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي ١٥/ ٣٠٦.

(٢) ينظر: تفسير المنار١/ ٥٣، وتفسير المراغي ١/ ٣٦.

(٣) سورة البلد، الآية:١٠.

(٤) سورة فصلت، الآية (١٧)

(٥) تفسير المنار (١/ ٦٤)

الخاصة وهي هداية التوفيق، هي التي افترق الناس فيها، فأثبتها أهل السنة، وأنكرتها المعتزلة والقدرية، وأثبتها كذلك الشيخ رشيد رضا ـ رحمه الله ـ فيقول: "بقي هنا هداية أخرى وهي المعبر عنها بقوله تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ}[1] فليس المراد من هذه الهداية ما سبق ذكره، فالهداية في الآيات السابقة بمعنى الدلالة، وهي بمنزلة إيقاف الإنسان على رأس الطريقين؛ المهلك والمنجي، مع بيان ما يؤدي إليه كل منهما، وهي ما تفضل الله به على جميع أفراد البشر. أما هذه الهداية فهي أخص من تلك، والمراد بها إعانتهم وتوفيقهم للسير في طريق الخير والنجاة مع الدلالة، وهي لم تكن ممنوحة لكل أحد كالحواس والعقل، وشرع الدين.

ولما كان الإنسان عرضة للخطأ والضلال في فهم الدين، وفي استعمال الحواس والعقل ... كان محتاجاً إلى المعونة الخاصة، فأمرنا الله بطلبها منه في قوله: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} ومعناها دلنا دلالة تصحبها معونة غيبية من لدنك تحفظنا بها من الضلال والخطأ ... "[2].

وقال العلماء ان الهداية نوعان: هداية دلالة وهداية معونة. هداية الدلالة هي للناس جميعاً وهداية المعونة هي للمؤمنين فقط المتبعين لمنهج الله. والله ﷻ هدى كل عباده هداية دلالة أي دلهم على طريق الخير وبينه لهم فمن أراد أن يتبع طريق الخير اتبعه ومن أراد ألا يتبعه تركه الله لما أراد[3] هذه الهداية العامة هي أساس البلاغ عن الله.

ومن هنا نفهم أن الهداية نوعان: هداية الدلالة، فهو «يهدي» أي يدل الناس على طريق الخير. وهناك هداية أخرى معنوية، وهي من الله ولا دخل للرسول ﷺ فيها، وهي هداية المعونة.

إذن قوله تعالى: {وَإِنَّكَ لتهدي إلى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}[4] معناها: أنك تدل على الصراط المستقيم، ولكن الله هو الذي يعين على هذه الهداية. {والله يَهْدِي مَن يَشَآءُ إلى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}[5].

المبحث الرابع: الهداية من الله

كما أن الله تعالى يهدي من يشاء، فإنه يضل من يشاء، ولكن هذا الإضلال ليس على سبيل الجبر، كما هو مذهب الجبرية، بل هو من باب ترتب المسببات على الأسباب والمقدمات على النتائج[6].

---

(١) سورة الانعام: من الآية:٩٠.

(٢) تفسير المنار (١/ ٦٤ – ٦٥).

(٣) الشعراوي ١/ ٨٤.

(٤) الشورى: من الآية:٥٢.

(٥) الشعراوي ٢/ ٩١١.

(٦) منهج رشيد رضا في العقيدة ١/ ٦٠٩ – ٦١٤

وقوله: {وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}[1] يحتمل ما ذكر من الهداية لهم حقيقة الهدى، وهو التوفيق، وحقيقة خلق الاهتداء فيهم، فصاروا مهتدين، وهو ما سألوا من الآية، وهي الناقة، فلما أتاهم على ما سألوا، آمنوا به وصدقوه، ثم كفروا به بعد ذلك وكذبوه وعقروا الناقة على ما ذكر.

ويحتمل قوله: (فَهَدَيْنَاهُمْ).أي: بينا لهم غاية ما يبين الحق من الباطل بما يعرفه كل ذي لب وعقل أنها آية، وأنها من الله تعالى؛ حيث جاءتهم الآية التي سألوها على الإشارة والتعيين وهي الناقة.

وقوله: {فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى}.أي: اختاروا الكفر على الهدى، واختاروا ما به يعمون على ما يبين لهم.

ثم أخبر عما نزل بهم من العذاب باختيارهم العمى على الهدى، وهو ما قال: {فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ}. أي: عذاب يهانون فيه، وهو من الهوان والإذلال، وكل عذاب الله صاعقة.

وقوله ﷻ: {وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ}[2] أي: أنجينا الذين اختاروا الهدى على العمى، وكانوا يتقون اختيار العمى على الهدى[3].

وقوله: (وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ) أي: هو يهدي من يطلب منه ما به يكون الهدى، وهو التوفيق؛ أي: ما لم يطلب منه ذلك ولم يسأل فإنه لا يهدي به ولا يوفقه.

وقَالَ بَعْضُهُمْ: {وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ}[4] تفسير قوله – تعالى –: {اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ}[5] أي: يجتبي للهداية من ينيب إليه، فأمَّا من لم ينب إليه فلا يجتبيه للهداية، لكن المراد من الهداية – هاهنا – ليس هدى البيان؛ لأن هدى البيان قد كان عامًّا لمن أناب إليه ومن لم ينب، ولكن الهدى – هاهنا – هدى الرحمة، أو هدى النعمة، والنعمة سميّ التوحيد والإيمان مرة: رحمة؛ كقوله – تعالى –: (وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ) [6]، وسمّاه: نعمة؛ كقوله: {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ}[7]، وسمَّاه: منَّة؛ كقوله – تعالى –: (بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ)[8]، وسماه: نورًا؛

---

(١) فصلت: الآية:١٧.

(٢) فصلت: الآية:١٨.

(٣) تفسير الماتريدي ٩/ ٧١.

(٤) الشورى : من الآية:١٣.

(٥) الشورى : من الآية:١٣.

(٦) الشورى : من الآية:٨.

(٧) الفاتحة: من الآية:٧.

(٨) الحجرات: من الآية:١٧.

كقوله تعالى: (أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ) [1]؛ فلذلك قلنا: إن الهدى المذكور – هاهنا – ليس هو هدى البيان، ولكن سواه، والله أعلم[2].

وقوله ﷻ: (فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ) [3] هذا – أيضًا – يحتمل وجهين:

أحدهما: حقيقة الهداية، وهو التوفيق والعصمة، فكأنه يقول – والله أعلم –: فمن يقدر دون الله على هدايته وتوفيقه بعد اختياره الضلال.

والثاني: الهدى: البيان؛ فكأنه يقول: فمن يقدر أن يأتي ببيان أكثر وأبين من بعد بيان الله – تعالى – الذي بين له؟ أي: لا أحد يقدر على ذلك[4].

{ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ}[5] قال بعض المحققين: المراد من هذه الهداية الثواب العظيم، وهي الهداية إلى طريق الجنة، وذلك لأنه تعالى لما ذكر هذه الهداية قال بعدها: وكذلك نجزي المحسنين وذلك يدل على أن تلك الهداية كانت جزاء المحسنين على إحسانهم وجزاء المحسن على إحسانه لا يكون إلا الثواب، فثبت أن المراد من هذه الهداية هو الهداية إلى الجنة. فأما الإرشاد إلى الدين وتحصيل المعرفة في قلبه، فإنه لا يكون جزاء له على عمله، وأيضا لا يبعد أن يقال: المراد من هذه الهداية هو الهداية إلى الدين والمعرفة، وإنما ذلك كان جزاء على الإحسان الصادر منهم، لأنهم اجتهدوا في طلب الحق، فالله تعالى جازاهم على حسن طلبهم بإيصالهم إلى الحق، كما قال: والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا[6]، [7].

الإنسان إذا آمن بالله فقد أشرقت روحه بنور هذه المعرفة، ثم إذا واظب على الأعمال الصالحة حصلت له ملكة مستقرة في التوجه إلى الآخرة وفي الإعراض عن الدنيا، وكلما كانت هذه الأحوال أكمل كان استعداد النفس لتحصيل سائر المعارف أشد، وكلما كان الاستعداد أقوى وأكمل كانت معارج المعارف أكثر وإشراقها ولمعانها أقوى، ولما كان لا نهاية لمراتب المعارف والأنوار العقلية، لا جرم لا نهاية لمراتب هذه الهداية المشار إليها بقوله تعالى: {يهديهم ربهم بإيمانهم}[8]،[9].

---

(١) الزمر: من الآية:٢٢.

(٢) تفسير الماتريدي ٩/ ١١٣.

(٣) الجاثية: من الآية:٢٣.

(٤) الماتريدي ٩/ ٣٢٨.

(٥) الانعام: من الاية:٨٨.

(٦) العنكبوت: ٦٩.

(٧) الرازي ١٣/ ٥٣.

(٨) يونس: من الآية:٩.

(٩) الرازي ١٧/ ٢١٤.

وهداية الله تعالى تتنوع أنواعاً لا يحصيها عد كما قال تعالى: {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوها}[1] ولكنها تنحصر في أجناس مترتبة:

الأول: إفاضة القوى التي بها يتمكن المرء من الاهتداء إلى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة.

الثاني: نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد وإليه أشار حيث قال تعالى: {وَهَدَيْناهُ النَّجْدَيْنِ}[2] وقال: {وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْناهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمى عَلَى الْهُدى}[3].

الثالث: الهداية بإرسال الرسل وإنزال الكتب، وإياها عنى بقوله: {وَجَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا}[4] وقوله: {إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ}[5].

الرابع: أن يكشف على قلوبهم السرائر ويريهم الأشياء كما هي بالوحي، أو الإلهام والمنامات الصادقة، وهذا قسم يختص بنيله الأنبياء والأولياء وإياه عنى بقوله: {أُولئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ}[6] وقوله: {وَالَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا}[7]. فالمطلوب إما زيادة ما منحوه من الهدى، أو الثبات عليه، أو حصول المراتب المرتبة عليه[8].

لما تتضمنه جملة: يهدي من يشاء من هداية بعض الناس وحرمان بعضهم من الهداية كما هو مقتضى: من يشاء. وهذا تخلص إلى ذكر بعض ممن لم يشأ الله هدايتهم وهم الذين أبطنوا الكفر وأظهروا الإسلام وهم أهل النفاق[9].

وفي قوله تعالى: (اهدنا الصراط المستقيم) رد على القدرية والمعتزلة والإمامية، لأنهم يعتقدون أن إرادة الإنسان كافية في صدور أفعاله منه، طاعة كانت أو معصية، لأن الإنسان عندهم خالق لأفعاله، فهو غير محتاج في صدورها عنه إلى ربه، وقد أكذبهم الله تعالى في هذه الآية إذ سألوه الهداية إلى الصراط المستقيم، فلو كان الأمر إليهم والاختيار بيدهم دون ربهم لما سألوه الهداية، ولا كرروا السؤال في كل صلاة، وكذلك تضرعهم إليه في دفع المكروه، وهو ما يناقض الهداية حيث قالوا: {صراط الذين أنعمت

---

(١) النحل: من الآية:١٨.

(٢) البلد: الآية:١٠.

(٣) فصلت: من الآية:١٧.

(٤) الأنبياء: من الآية:٧٣.

(٥) الاسراء: من الآية:٩.

(٦) الانعام: من الآية:٩٠.

(٧) العنكبوت: من الآية:٦٩.

(٨) القرطبي ١/ ٣٠.

(٩) التحرير ١٨/ ٢٦٨.

عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين}[1]. فكما سألوه أن يهديهم سألوه ألا يضلهم، وكذلك يدعون فيقولون:" ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا [2] " [3]

وقوله تعالى:{هدى للمتقين}[4] خص الله تعالى المتقين بهدايته وإن كان هدى للخلق أجمعين تشريفا لهم، لأنهم آمنوا وصدقوا بما فيه. وروي عن أبي روق أنه قال:" هدى للمتقين" أي كرامة لهم، يعني إنما أضاف إليهم إجلالا لهم وكرامة لهم وبيانا لفضلهم[5].

قال مُحَمَّد بن كعب القرظي: لما قالوا:{ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ}[6] رد عليهم بقوله:{ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها}[7] يقول: لو شئت لهديت الناس جميعا فلم يختلف منهم أحد" ولكن حق القول مني" الآية، وقال النحاس:{ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها} في معناه قولان: **أحدهما**: أنه في الدنيا. **والآخر**: أن سياق الكلام يدل على أنه في الآخرة، أي لو شئنا لرددناهم إلى الدنيا والمحنة كما سألوا { وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ}[8] أي حق القول مني لأعذبن من عصاني بنار جهنم. وعلم الله تبارك وتعالى أنه لو ردهم لعادوا، كما قال تعالى:{ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ}[9] وهذه الهداية معناها خلق المعرفة في القلب. وتأويل المعتزلة: ولو شئنا لأكرهناهم على الهداية بإظهار الآيات الهائلة، لكن لا يحسن منه فعله، لأنه ينقض الغرض المجرى بالتكليف إليه وهو الثواب الذي لا يستحق إلا بما يفعله المكلف باختياره.

وقد تكلم العلماء عليهم في هذين التأويلين بما فيه كفاية في أصول الدين. وأقرب ما لهم في الجواب أن يقال: فقد بطل عندنا وعندكم أن يهديهم الله سبحانه على طريق الإلجاء والإجبار والإكراه، فصار يؤدي ذلك إلى مذهب الجبرية، وهو مذهب رذل عندنا وعندكم، فلم يبق إلا أن المهتدين من المؤمنين إنما هداهم الله تعالى إلى الإيمان والطاعة على طريق الاختيار حتى يصح التكليف فمن شاء آمن وأطاع اختيارا لا جبرا، قال الله تعالى:{لمن شاء منكم أن يستقيم} [10]، وقال:{فمن شاء اتخذ إلى ربه

---

(١) الفاتحة: الآية :٧.

(٢) آل عمران: الآية: ٨.

(٣) القرطبي ١/ ١٤٩.

(٤) البقرة: من الآية: ٢.

(٥) القرطبي ١/ ١٦١.

(٦) السجدة: من الآية:١٢.

(٧) السجدة: من الآية:١٣.

(٨) السجدة: من الآية:١٣.

(٩) الانعام: من الآية:٢٨.

(١٠) التكوير: ٢٨.

سبيلا}[1]،ثم عقب هاتين الآيتين بقوله تعالى:{وما تشاءون إلا أن يشاء الله}[2] فوقع إيمان المؤمنين بمشيئتهم، ونفى أن يشاءوا إلا أن يشاء الله، ولهذا فرطت المجبرة لما رأوا أن هدايتهم إلى الايمان معذوق[3] بمشيئة الله تعالى، فقالوا: الخلق مجبورون في طاعتهم كلها، التفاتا إلى قوله:{وما تشاءون إلا أن يشاء الله} [4] وفرطت القدرية لما رأوا أن هدايتهم إلى الايمان معذوق بمشيئة العباد، فقالوا: الخلق خالقون لأفعالهم، التفاتا منهم إلى قوله تعالى:{لمن شاء منكم أن يستقيم}[5] ومذهبنا هو الاقتصاد في الاعتقاد، وهو مذهب بين مذهبي المجبرة والقدرية، وخير الأمور أوساطها. وذلك أن أهل الحق قالوا: نحن نفرق بين ما اضطررنا إليه وبين ما اخترناه، وهو أنا ندرك تفرقة بين حركة الارتعاش الواقعة في يد الإنسان بغير محاولته وإرادته ولا مقرونة بقدرته، وبين حركة الاختيار إذا حرك يده حركة مماثلة لحركة الارتعاش، ومن لا يفرق بين الحركتين: حركة الارتعاش وحركة الاختيار، وهما موجودتان في ذاته ومحسوستان في يده بمشاهدته وإدراك حاسته- فهو معتوه في عقله ومختل في حسه، وخارج من حزب العقلاء. وهذا هو الحق المبين، وهو طريق بين طريقي الافراط والتفريط[6].

{وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ}[7] فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ وَمَا قَبْلَهَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ هُدَى الْعَبْدِ إِنَّمَا يَكُونُ مِنَ اللَّهِ لِمَنْ يَشَاءُ لَهُ الْهِدَايَةَ، وَرُدَّ عَلَى الْمُعْتَزِلَةِ فِي زَعْمِهِمْ أَنَّهُ يَسْتَقِلُّ بِهُدَى نَفْسِهِ، وَفِي قَوْلِهِ: مَنْ يَشَاءُ، إِشْعَارٌ، بَلْ دَلَالَةٌ، عَلَى أَنَّ هِدَايَتَهُ تَعَالَى مَنْشَؤُهَا الْإِرَادَةُ فَقَطْ، لَا وَصْفٌ ذَاتِيٌّ فِي الَّذِي يَهْدِيهِ يَسْتَحِقُّ بِهِ الْهِدَايَةَ، بل ذلك معذوق بِإِرَادَتِهِ تَعَالَى فَقَطْ لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ[8].

وفي قوله تعالى: {أفأنت تكون عليه وكيلا}[9] أي حفيظا وكفيلا حتى ترده إلى الإيمان وتخرجه من هذا الفساد. أي ليست الهداية والضلالة موكولتين إلى مشيئك، وإنما عليك التبليغ. وهذا رد على القدرية[10].

---

(١) الانسان: من الآية:٢٩.

(٢) التكوير: ٢٩.

(٣) معذوق: يقال: فلان معذوق بالشيء: موسوم به من عذقت الشاة إذا ربطت في صوفها صوفة تخالف لونها.اساس البلاغة، ١/ ٦٤٠.

(٤) التكوير: ٢٩..

(٥) التكوير: ٢٨..

(٦) القرطبي ١٤/ ٩٦.

(٧) النور: من الآية:٤٦.

(٨) البحر المحيط ٢/ ٣٧١.

(٩) الفرقان: نت الآية:٤٣.

(١٠) القرطبي ١٣/ ٣٦.

وفي قوله تعالى: {الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ}[1] لأن الهداية متجددة له. وجعل فعل الهداية مفرعا بالفاء على فعل الخلق لأنه معاقب له لأن الهداية بهذا المعنى من مقتضى الخلق لأنها ناشئة عن خلق العقل كما قال تعالى: {الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى}[2] والمراد بالهداية الدلالة على طرق العلم كما في قوله تعالى: {وهديناه النجدين}[3] فيكون المعنى: الذي خلقني جسدا وعقلا[4].

{وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا}[5] أي وضحت الحجج يا مُحَمَّد، لكنهم لإلفهم تقليد الأسلاف في الكفر ماتت عقولهم وعميت بصائرهم، فلا يتهيأ لك إسماعهم وهدايتهم. وهذا رد على القدرية. (إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا) أي لا تسمع مواعظ الله إلا المؤمنين الذين يصغون إلى أدلة التوحيد وخلقت لهم الهداية[6].

ومعنى ولكن الله يهدي من يشاء أنه يخلق من يشاء قابلا للاهتداء في مدى معين وبعد دعوات محدودة حتى ينشرح صدره للإيمان فإذا تدبر ما خلقه الله عليه وحدده كثر في علمه وإرادته جعل منه الاهتداء، فالمراد الهداية بالفعل[7].

قال تعالى: {نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا}[8]، أي نخلق بسببه الهداية في نفوس الذين أعددناهم للهدى من عبادنا. فالهداية هنا هداية خاصة وهي خلق الإيمان في القلب.

والهداية في قوله: وإنك لتهدي هداية عامة. وهي: إرشاد الناس إلى طريق الخير فهي تخالف الهداية في قوله: نهدي به من نشاء. وحذف مفعول لتهدي للعموم، أي لتهدي جميع الناس، أي ترشدهم إلى صراط مستقيم[9]،

والله لا يهدي القوم الظالمين إخبار من الله تعالى بأن الظالم لا يهديه، وظاهره العموم، والمراد هداية خاصة، أو ظالمون مخصوصون، فما ذكر في الهداية الخاصة أنه لا يرشدهم في حجتهم، وقيل: لا

---

(١) الشعراء: الآية:٧٨.

(٢) طه:٥٠ .

(٣) البلد: ١٠..

(٤) التحرير ١٩/ ١٤٢.

(٥) النمل: من الآية:٨١.

(٦) القرطبي ١٤/ ٤٦.

(٧) القرطبي ٢٠/ ١٤٧.

(٨) الشورى: من الآية:٥٢.

(٩) التحرير ٢٥/ ١٥٤.

يهديهم إلى الثواب في الآخرة ولا إلى الجنة،[١] {وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ}[٢] علق وجود الهداية بإرادته، فهو الهادي لا هادي سواه. [٣]

{وَلكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ}[٤] صريح بأن الهداية من الله تعالى وبمشيئته، وإنها تخص بقوم دون قوم. [٥]

أن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ومن مقتضيات ذلك أن يفرق سبحانه بين أسباب الهداية، وأسباب الضلال، ويجعل لكل طريق منهما صفات تخصه، ولذلك نقول: إن الله سبحانه زين لأوليائه طريق الإيمان وكره إليهم الكفر بخلاف الكافرين، فلم يفعل ذلك لهم، وعليه فاستطاعة الإيمان التي مكن الله عباده المؤمنين من تحصيلها هدى وتوفيق من رب العالمين لعباده المؤمنين، ويجب عليهم شكر ربهم عليها، واستطاعة الكفر خذلان من الله للكافرين يجب على كل مسلم أن يستعيذ بالله منها[٦].

وفي قوله تعالى:{الذين هداهم الله}[٧] لطيفة وهي: أن حصول الهداية في العقل والروح حادث فلا بد من فاعل وقابل، فأما الفاعل: فهو الله تعالى وهو المراد من قوله تعالى:{أولئك الذين هداهم الله} وأما القابل فإليه الإشارة بقوله تعالى:{وأولئك هم أولو الألباب} فإن الإنسان ما لم يكن عاقلاً كامل الفهم امتنع حصول هذه المعارف الحقيقية في قلبه[٨].

ولأن الهداية والضلال من العبد لا يحصلان إلا من الله تعالى لأن الهداية تشبه الحياة واليقظة والضلال يشبه الموت والنوم، فكما أن الحياة واليقظة لا يحصلان إلا بخلق الله تعالى كذلك الضلال لا يحصل إلا من الله تعالى ومن عرف هذه الدقيقة فقد عرف سر الله تعالى في القدر ومن عرف سر الله تعالى في القدر هانت عليه المصائب. [٩]

---

(١) البحر المحيط ٢/ ٦٣٠.

(٢) الحج: من الآية:١٦.

(٣) القرطبي ١٢/ ٢٢.

(٤) القصص: من الآية: ٥٦.

(٥) البيضاوي ١/ ١٦١.

(٦) رسالة الى اهل الثغر ١/ ١٤٥.

(٧) الزمر: من الآية:.١٨.

(٨) السراج المنير ٣/ ٤٤٠.

(٩) السراج المنير ٣/ ٤٥٠.

{فَإِنَّ الله لاَ يَهْدِى مَنْ يُضِلُّ} أي فاعلم أنه تعالى لا يخلق الهدايةَ جبراً وقسراً فيمن يخلق فيه الضلالةَ بسوء اختيارِه[١] وأنَّ الهدايةَ تحصلُ بفعل الله تعالى وقبول النَّفسِ لها[٢].

وفي قوله تعالى: {فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ}[٣] أي ليس عليهم إلا التبليغ، وأما الهداية فهي إلى الله تعالى[٤].

ولتحصيل الهداية طريقان: أحدهما: طلب المعرفة بالدليل والحجة، والثاني: بتصفية الباطن والرياضة[٥].

فسلوا الله الهداية إلى الإسلام لأن إبراهيم – ﷺ– سأل ذلك لنفسه ولولده إسماعيل وذريتهما فقال: {وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا}[٦]، وأخبر الله عنه في آية أخرى قال: {اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي}[٧] فهل سأل إبراهيم إلا ما يملكه الله ولا يملكه إبراهيم؟[٨].

ان الْهِدَايَة من الله تَعَالَى على وَجْهَيْن **احدهما** من جِهَة ابانة الْحق وَالدُّعَاء اليه وَنصب الادلة عَلَيْهِ وعَلى هَذَا الْوَجْه يَصح اضافة الْهِدَايَة الى الرُّسُل والى كل دَاع الى دين الله ﷻ لانهم يرشدون اهل التَّكْلِيف الى الله تَعَالَى وَهَذَا تَأْوِيل قَول الله ﷻ فِي رَسُوله ﷺ {وَإِنَّك لتهدي إِلَى صِرَاط مُسْتَقِيم}[٩] أي تَدْعُو اليه **وَالْوَجْه الثاني** من هِدَايَة الله سُبْحَانَهُ لِعِبَادِهِ خلق الاهتداء فِي قُلُوبهم كَمَا ذكره فِي قَوْله {فَمن يرد الله أَن يهديه يشْرَح صَدره لِلْإِسْلَامِ وَمن يرد أَن يضله يَجْعَل صَدره ضيقا حرجا}[١٠] وَهَذَا النَّوْع من الْهِدَايَة لَا يقدر عَلَيْهِ الا الله تَعَالَى وَالْهِدَايَة الاولى من الله تَعَالَى شَامِلَة لجَمِيع الْمُكَلّفين وَالْهِدَايَة الثَّانِيَة من خاصته للمهتدين وفى تَحْقِيق ذَلِك نزل قَول الله تَعَالَى {وَالله يَدْعُو إِلَى دَار السَّلَام وَيهْدِي من يَشَاء إِلَى صِرَاط مُسْتَقِيم}[١١].

---

(١) ارشاد العقل السليم ٥/ ١١٣.

(٢) ارشاد العقل السليم ٧/ ٢٤٨.

(٣) النحل: من الآية:٣٥.

(٤) القرطبي ١٠/ ١٠٣.

(٥) تفسير الرازي ١/ ٢٦.

(٦) البقرة: من الآية:١٢٨.

(٧) ابراهيم: من الآية:٤٠.

(٨) الانتصار في الرد على المعتزلة ١/ ١٩٦.

(٩) الشورى: من الآية:٥٢.

(١٠) الانعام: من الآية:١٢٥.

(١١) الفرق بين الفرق ١/ ٣٢٩.

المبحث الخامس: اثر الهداية والاستقامة على اسعاد الانسان في الدنيا والآخرة

المطلب الاول: اثر الهداية والاستقامة على اسعاد الانسان في الدنيا

ان الهداية الى طريق التوحيد والإضلال عنه انما هي بقدرته واختياره بحيث يؤتى ملك توحيده من يشاء من عباده ويمنعه عن من يشاء أراد ان ينبه على خلص عباده بما يقربهم الى الهداية ويبعدهم عن الضلال[١].

لقوله تعالى:{ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ }[٢] والمقتول لا يوصف بهذا. قال غيره: يكون المعنى سيهديهم إلى الجنة، أو سيهدي من بقي منهم، أي يحقق لهم الهداية. وقال ابن زياد: سيهديهم إلى محاجة منكر ونكير في القبر. قال أبو المعالي: وقد ترد الهداية والمراد بها إرشاد المؤمنين إلى مسالك الجنان والطرق المفضية إليها، ومن ذلك قوله تعالى في صفة المجاهدين: {فلن يضل أعمالهم. سيهديهم}. ومنه قوله تعالى:{فاهدوهم إلى صراط الجحيم} [٣] معناه فاسلكوا بهم إليها[٤].

وَيَهْدِي مَنْ يَشاءُ بالتوفيق. إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ هو طريقها وذلك الإسلام والتدرع بلباس التقوى، وفي تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشيئة دليل على أن الأمر غير الإرادة وأن المصر على الضلالة لم يرد الله رشده[٥].

إِنَّ عَلَيْنا لَلْهُدى للإرشاد إلى الحق بموجب قضائنا أو بمقتضى حكمتنا، أو إِنَّ عَلَيْنا طريقة الهدى كقوله ﷻ: {وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ}[٦].

وَإِنَّ لَنا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولى فنعطي في الدارين ما نشاء لمن نشاء، أو ثواب الهداية للمهتدين، أو فلا يضرنا تركككم الاهتداء[٧].

{أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ الله هَدَانِى}[٨] أي أعطاني الهداية {لَكُنتُ مِنَ المتقين} من الذين يتقون الشرك قال الشيخ الإمام أبو منصور رحمه الله تعالى هذا الكافر أعرف بهداية الله من المعتزلة وكذا أولئك الكفرة الذين قالوا لأتباعهم لو هدانا الله لهديناكم يقولون لو وفقنا الله للهداية وأعطانا الهدى لدعوناكم إليه ولكن علم منا اختيار الضلالة والغواية فخذلنا ولم يوفقنا والمعتزلة يقولون بل هداهم وأعطاهم التوفيق

---

(١) الفواتح الالهية ١/ ١٠٣.

(٢) مُحَمَّد: الآية:٥.

(٣) الصافات: ٢٣.

(٤) القرطبي ١٦/ ٢٣٠.

(٥) البيضاوي ٣/ ١١٠.

(٦) النحل: من الآية:٩.

(٧) البيضاوي ٥/ ٣١٧.

(٨) الزمر: الآية:٥٨.

لكنهم لم يهتدوا والحاصل أن عند الله لطفاً من أعطى ذلك اهتدى وهو التوفيق والعصمة ومن لم يعطه ضل وغوى وكان استحبابه العذاب وتضييعه الحق بعد ما مكن من تحصيله لذلك[١].

{فريقاً هدى}[٢] أي: خلق الهداية في قلوبهم فحق لهم ثواب الهداية {وفريقاً حق} أي: ثبت ووجب {عليهم الضلالة} أي: بمقتضى القضاء السابق، وقيل: إنّ الله تعالى بدأ خلق بني آدم مؤمناً وكافراً كما قال تعالى: {هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن}[٣] ثم يعيدكم يوم القيامة، كما خلقكم كافراً ومؤمناً وقيل: يبعثون على ما كانوا عليه.

روي أنه ﷺ قال: «يبعث كل عبد على ما مات عليه»[٤] المؤمن على إيمانه والكافر على كفره. وقيل: من ابتدأ الله خلقه على الشقوة صار إليها وإن عمل عمل أهل السعادة كما أنّ إبليس كان يعمل بعمل أهل السعادة ثم صار إلى الشقاوة، ومن ابتدأ الله خلقه على السعادة صار إليها وإن عمل عمل أهل الشقاوة كما أنّ السحرة كانوا يعملون عمل أهل الشقاوة فصاروا إلى السعادة.

روي أنه ﷺ قال:«إِنَّ العَبْدَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الجَنَّةِ وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالخَوَاتِيمِ»[٥] وانتصاب فريقاً بفعل يفسره ما بعده أي: وخذل فريقاً وقوله تعالى: { إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ }[٦] أي: دونه تعليل لخذلانهم وتحقيق لضلالهم {ويحسبون} أي: يظنون {أنهم} مع ضلالهم {مهتدون} أي: على هداية وحق وفيه دليل على أنّ الكافر الذي يظن أنه في دينه على الحق والجاحد والمعاند في الكفر سواء[٧].

إن كانت الهداية في الدنيا فهو قول لا إله إلا الله، والأقوال الطيبة من الأذكار وغيرها، ويكون الصراط طريق الإسلام وإن كان إخبارا عما يقع منهم في الآخرة فهو قولهم: الحمد لله الذي صدقنا وعده وما أشبه ذلك من محاورة أهل الجنة، ويكون الصراط الطريق إلى الجنة. وعن ابن عباس: هو لا إله إلا الله والحمد لله زاد ابن زيد والله أكبر[٨].

---

(١) تفسير النسفي ٣/ ١٨٩.

(٢) الاعراف: من الآية:٣٠.

(٣) (التغابن، ٢)

(٤) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها واهلها، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت ٤/ ٢٢٠٦ برقم(٢٨٧٨).

(٥) صحيح البخاري، كتاب القدر، باب العمل بالخواتيم، ٨/ ١٢٤ برقم(٦٦٠٧).

(٦) الاعراف: من الآية:٣٠.

(٧) السراج المنير ١/ ٤٧٢.

(٨) البحر المحيط ٧/ ٤٩٨.

أنه تعالى لما ذكر أنه يهدي لنوره من يشاء ذكر حال من حصلت له الهداية لذلك النور وهم المؤمنون، ثم ذكر أشرف عبادتهم القلبية وهو تنزيههم الله عن النقائص وإظهار ذلك بالتلفظ به في مساجد الجماعات، ثم ذكر سائر أوصافهم من التزام ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وخوفهم ما يكون في البعث. ولذلك جاء مقابل المؤمنين وهم الكفار في قوله والذين كفروا، وكأنه لما ذكرت الهداية للنور جاء في التقسيم لقابل الهداية وعدم قابلها، فبدئ بالمؤمن وما تأثر به من أنواع الهدى ثم ذكر الكافر[1].

فالهداية هي البيان والدلالة، ثم التوفيق والإلهام، وهو بعد البيان والدلالة. ولا سبيل إلى البيان والدلالة إلا من جهة الرسل. فإذا حصل البيان والدلالة والتعريف ترتب عليه هداية التوفيق. وجعل الإيمان في القلب وتحبيبه إلى، وتزيينه في قلبه، وجعله مؤثرا له، راضيا به، راغبا فيه. هما هدايتان مستقلتان، لا يحصل الفلاح إلا بهما. وهما متضمنتان تعريف ما لم نعلمه من الحق تفصيلا وإجمالا، وإلهامنا له، وجعلنا مريدين لاتباعه ظاهرا وباطنا. ثم خلق القدرة لنا على القيام بموجب الهدى بالقول والعمل والعزم. ثم إدامة ذلك لنا وتثبيتنا عليه إلى الوفاة[2].

{إنَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات}[3] والأعمال الصالحة عبارة عن الأعمال التي تحمل النفس على ترك الدنيا وطلب الآخرة، والأعمال المذمومة مما يكون بالضدّ من ذلك. {يهديهم} أي: يرشدهم. {ربهم بإيمانهم} أي: بسبب إيمانهم إلى سلوك سبيل يؤدي إلى الجنة، أو لما يريدونه في الجنة، أو لإدراك الحقائق، كما قال ﷺ «من عمل بما علم ورّثه الله علم ما لم يعلم» . ومفهوم ترتبِ الهداية على الإيمان، والعمل الصالح قد دلّ على أنّ سبب الهداية هو الإيمان والعمل الصالح، لكن دل منطوق قوله جل وعلا: {بإيمانهم} على استقلال الإيمان بالسببية، وأن العمل الصالح كالتتمة والرديف، ثم إنه تعالى لما وصفهم بالإيمان والأعمال الصالحة ذكر بعد ذلك درجات كراماتهم ومراتب سعاداتهم، وهي أربعة **الأولى**: قوله تعالى: {تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم}[4] أي: يكونون جالسين على سرر مرفوعة في البساتين، والأنهار تجري من بين أيديهم، ينظرون إليها من أعالي أسرتهم وقصورهم، ونظيره قوله تعالى: {قد جعل ربك تحتك سرياً}[5] فهي ما كانت قاعدة عليه، ولكن المعنى: بين يديك، وكذا قوله: {وهذه الأنهار تجري من تحتي}[6]، أي: بين يدي فكذا هنا. **الثانية**: قوله تعالى:{دعواهم فيها}

---

(١) البحر ٨/ ٤٨.

(٢) تفسير ابن القيم١/ ١٣.

(٣) يونس: من الآية: ٩.

(٤) يونس: من الآية: ٩.

(٥) (مريم: ٢٤)

(٦) (الزخرف، ٥١)

قال بعض المفسرين:، أي: طلبهم لما يشتهون في الجنة أن يقولوا: {سبحانك} أي: ننزهك من كل سوء ونقيصة. {اللهمّ} أي: يا الله، فإذا ما طلبوا بين أيديهم على موائد، كل مائدة ميل في ميل، على كل مائدة سبعون ألف صحفة، في كل صحفة لون من الطعام لا يشبه بعضها بعضاً، فإذا فرغوا من الطعام حمدوا الله تعالى، فذلك قوله تعالى: {وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين} وأن المراد بقوله {سبحانك اللهم} اشتغال أهل الجنة بالتسبيح والتحميد والتقديس لله تعالى، والثناء عليه بما هو أهله، وفي هذا الذكر سرورهم وابتهاجهم وكمال لذاتهم وهذا أولى، ويدل عليه ما روي عن جابر رضي الله تعالى عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون، ولا يبولون ولا يتغوّطون ولا يتمخطون. قالوا: فما بال الطعام؟ قال: جشاء ورشح كرشح المسك، يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس» ، أي: يخرج ذلك الطعام جشاء وعرقاً.

الثالثة: قوله تعالى: {وتحيتهم} فيما بينهم وتحية الملائكة لهم {فيها} أي: الجنة {سلام} وتأتيهم الملائكة أيضاً من عند ربهم بالسلام. قال تعالى: {والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم}[1] وقال تعالى: {سلام قولاً من رب رحيم}[2].

الرابعة: قوله تعالى: {وآخر دعواهم} أي: وآخر دعائهم. {أن الحمد لله رب العالمين} أي: أن يقولوا ذلك، وأن هي المخففة من الثقيلة، وقد ذكرنا أنَّ بعض المفسرين حمل التسبيح والتحميد على أحوال أهل الجنة بسبب المأكول والمشروب، فإنهم إذا اشتهوا شيئاً قالوا: {سبحانك اللهم}[3] فيحصل ذلك الشيء، فإذا فرغوا منه قالوا: {الحمد لله رب العالمين} فترتفع الموائد عند ذلك[4].

ان اقسام الهداية ثلاثة **الاولى هداية العامة:** أي عامة الحيوانات الى جلب منافعها وسلب مضارها واليه أشار بقوله تعالى {أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدى} وقوله {وَهَدَيْناهُ النَّجْدَيْنِ} **والثانية هداية الخاصة:** أي للمؤمنين الى الجنة واليه الاشارة بقوله تعالى {يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمانِهِمْ} الآية **والثالثة هداية الأخص:** وهي هداية الحقيقة الى الله بالله واليه الاشارة بقوله تعالى {قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدى} وقوله {إِنِّي ذاهِبٌ إِلى رَبِّي سَيَهْدِينِ} وقوله {اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ} وقوله {وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدى}[5].

---

(١) (الرعد: ٢٣، ٢٤)

(٢) (يس: ٥٨)

(٣) (يونس، ١٠)

(٤) السراج المنير ٢/ ٧.

(٥) روح البيان ١/ ٢٢.

إذا علمت أن مدار السعادة، والفوز بالنعيم في دار البقاء هو التوحيد والطاعة، ومناط الشقاء والخسران في دار الهوان هو الإشراكُ والعصيان، فاثبت على ما أنت عليه من التوحيد، واعلم أنه لا إله في الوجود إلا الله، فلا يستحق العبادة غيره [١].

المطلب الثاني: اثر الهداية والاستقامة على اسعاد الانسان في الآخرة

وللهداية مرتبة أخرى- وهي الهداية يوم القيامة إلى طريق الجنة. وهو الصراط الموصل إليها. فمن هدى في هذه الدار إلى صراط الله المستقيم الذي أرسل به رسله، وأنزل به كتبه، هدي هناك إلى الصراط المستقيم، الموصل إلى جنته ودار ثوابه. وعلى قدر ثبوت قدم العبد على هذا الصراط الذي نصبه الله لعباده في هذه الدار، يكون ثبوت قدمه على الصراط المنصوب على متن جهنم. وعلى قدر سيره على هذا الصراط يكون سيره على ذاك الصراط. فمنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالطّرف، فسؤال الهداية متضمن لحصول كل خير، والسلامة من كل شر [٢].

وكونه تعالى منعما على أهل الهداية إلى الصراط المستقيم. فإن إنعامه عليهم إنما تم بإرسال الرسل إليهم، وجعلهم قابلين الرسالة مستجيبين لدعوته، وبذلك ذكرهم منته عليهم وإنعامه في كتابه [٣].

{وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} [٤] أَيْ: بِمَنْ يَسْتَحِقُّ مِنْكُمُ الْهِدَايَةَ فَيَهْدِيهِ، وَبِمَنْ يَسْتَحِقُّ الغَوَاية فَيُغْوِيهِ {حَكِيمًا} أَيْ: فِي أَقْوَالِهِ وأفعاله وشرعه وقدره [٥].

{وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ} [٦] أَيْ: مُطَّلِعٌ عَلَيْهِمْ وَعَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْهِدَايَةَ ممن يستحق الغواية [٧].

{ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله} [٨] أي: إن الهداية إليه، لا إليهم. بل يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وهو الفعال لما يريد، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون، لعلمه وحكمته، وسلطانه وقهره وغلبته [٩].

---

(١) البحر المديد ابن عجيبة ٥/ ٣٦٧.

(٢) تفسير ابن القيم١/ ١٤.

(٣) تفسير ابن القيم١/ ٦٤.

(٤) النساء: من الآية: ١٧٠.

(٥) ابن كثير ٢/ ٤٧٦.

(٦) آل عمران: من الآية: ١٦٣.

(٧) ابن كثير٣/ ١٥٦.

(٨) الانعام: من الآية:١١١.

(٩) ابن كثير ٣/ ٣١٨.

{لمن شاء منكم أن يستقيم}[1] أي: من أراد الهداية فعليه بهذا القرآن، فإنه منجاة له وهداية، ولا هداية فيما سواه، {وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين}[2] أي: ليست المشيئة موكولة إليكم، فمن شاء اهتدى ومن شاء ضل، بل ذلك كله تابع لمشيئة الله ﷻ رب العالمين.

قالت المعتزلةُ: أصولنا تشهد بأن الله هدى جميعَ الخلقِ إلى الدِّينِ؛ بمعنى: التعريف ووضع الدلائل وفعل الألطاف، فلو لم يَعُمّ الكُلَّ بهذه الأشياء لصار الكافرُ والضالُّ معذوراً، ثم إنه تعالى – حكم بأنه لم يَهْدِ هؤلاء الكفارَ، فلا بد من تفسير هذه الهدايةِ بشيء آخرَ سوى نَصْب الدلائل، ثم ذكروا فيه وجوهاً:

الأول: أن المراد من هذه الهداية منع الألطاف التي يؤتيها المؤمنين؛ ثواباً لهم على إيمانهم، كقوله: {والذين جَاهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا}[3] وقوله: {والذين اهتدوا زَادَهُمْ هُدًى}[4] وقوله: {يَهْدِي بِهِ الله مَنِ اتبع رِضْوَانَه}[5] فهذه الآيات تدل على أن المهتدي قد يزيده الله هدًى.

الثاني: أن المراد أنه – تعالى – لا يهديهم إلى الجنة، قال تعالى: {إِنَّ الذين كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ الله لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّم}[6] وقال: {يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأنهار}[7].

والثالث: أنه لا يمكن أن يكون المرادُ من الهداية خلق المعرفة فيه؛ لأنه – على هذا التّقْدِيرِ – يلزم أن يكون الكفر – أيضاً – من الله؛ لأنه – تعالى – إذا خلق المعرفةَ فيه كان مؤمناً مهتدياً، وإذا لم يخلقها كان كافراً ضَالاً، وإذا كان الكفر من الله – تعالى – لم يَصِحّ أن يذُمَّهم الله – تعالى – على الكفر، ولم يَصِحّ أن يُضاف الكفرُ إليهم، لكن الآية ناطقة بأنهم مذمومون بسبب الكفر، وكونهم فاعلين للكفر، فإنه قال: {كَيْفَ يَهْدِي الله قَوْماً كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ}[8] ؟ فأضاف الكفر إليهم، وذمَّهم عليه.

وقال أهل السنة: المرادُ من الهداية خلق المعرفة، وقد جَرَت سُنَّة اللهِ في دار التكليفِ أن كلّ فِعْلٍ يقصد العبد إلى تحصيله، فإن الله – تعالى – يخلقه عقيب القصد من العبد، فكأنه – تعالى – قال:

---

(١) التكوير:الآية:٢٨.

(٢) التكوير:الآية:٢٩.

(٣) العنكبوت: ٦٩.

(٤) مُحَمَّد: ١٧.

(٥) المائدة: ١٦.

(٦) النساء: ١٦٨ – ١٦٩.

(٧) يونس: ٩. .

(٨) آل عمران: من الآية:٨٦.

كيف يخلق الله فيهم المعرفةَ والهدايةَ وهم قصدوا تحصيلَ الكفر وأرادوه؟[1] احتجوا بقوله تعالى:{وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}[2] على أن فعل العبدِ مخلوق لله تعالى؛ لأنه جعل اعتصامهم هداية من الله تعالى، والمعتزلة ذكروا فيه وجوهاً:

أحدها: أن المرادَ بهذه الهداية الزيادة في الألطاف المرتبة على أداء الطاعات، كقوله تعالى: {يَهْدِي بِهِ الله مَنِ اتبع رِضْوَانَهُ سُبُلَ السلام}[3] وهذا اختيار القفال.

الثاني: أن التقدير: ومن يعتصم بالله فنعم ما فعل؛ فإنه إنما هُدِيَ إلى الصراط المستقيم، ليفعل ذلك.

الثالث: أن التقدير: ومن يعتصم بالله فقد هُدِيَ إلى طريقِ الجنة.

الرابع: قال الزَّمَخْشَرِيُّ: «فقد هدي» أي: فقد حصل له الهدى – لا محالة – كما تقول: إذا جئتَ فلاناً فقد أفلحتَ، كأن الهدى قد حصل، فهو يخبر عنه حاصِلاً؛ لأن المعتصم بالله متوقّع للهدى، كما أن قاصد الكريم متوقع للفلاح عنده[4].

وفي أنّ الهداية والضلال من الله تعالى احتج أَهْلُ السُّنَّةِ بقوله تعالى:{ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}[5] على أن الهُدَى والضلال ليسا إلاَّ من الله – تعالى – لتصريح الآية بذلك.

وأجاب المعتزلة عن ذلك بوجوه:

الأول: قال الجُبَّائي: معناه أنّه – تعالى يجعلهم صُمًّا وبُكماً وعُمْياً يوم القيامة عند الحَشْرِ، ويكونون كذلك في الحقيقة بأن يجعلهم في الآخرة صُمًّا وبُكماً في الظلمات ويضلهم بذلك عن الجَنَّةِ، وعن طريقها، ويصيرهم إلى النار، وأكَّد القاضي هذا بأنه – تعالى – بيَّن في باقي الآيات أنه يحشرهم على وجوهم عُمْياً وبُكْماً وصُمّاً مَأوَاهُمْ جَهَنَّمُ.

الثاني: قال الجُبائي أيضاً: ويحتمل أنهم يكونون كذلك في الدنيا، فيكون توسّعاً من حيث أنهم جعلوا بتكذيبهم بآيات الله في الظلمات لا يهتدون إلى منافعِ الدينا فَشَبَّهَهُمْ من هذا الوجه بهم وأجرى بهم وأجرى عليهم مثل صَفَاتِهِمْ على سبيل التَّشْبِيهِ.

الثالث: قال الكَعْبِيُّ: قوله «صُمٌّ وبُكْمٌ» قائم على الشَّتْمِ والإهانة، لا على أنهم كانوا كذلك في الحقيقة.

---

(١) اللباب ٥/ ٣٧٦.

(٢) آل عمران: من الآية:١٠١.

(٣) المائدة: ١٦.

(٤) اللباب ٥/ ٤٢٨.

(٥) الانعام: الآية:٣٩.

أمَّا قوله: {مَن يَشَإِ الله يُضْلِلْهُ}[1] فقال الكعبي: ليس هذا على سبيل المجاز لأنه – تعالى – وإن أجْمَلَ القول فيه هَا هُنَا فَقَدْ فَسَّرَهُ في سائر الآيات، وهو قوله:

{وَيُضِلُّ الله الظالمين}[2] وقوله: {وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الفاسقين}[3].

وقوله: {والذين اهتدوا زَادَهُمْ هُدًى}[4] ، وقوله تعالى: {يَهْدِي بِهِ الله مَنِ اتبع رِضْوَانَهُ}[5] وقوله: {يُثَبِّتُ الله الذين آمَنُواْ بالقول الثابت}[6] وقوله: {والذين جَاهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا}[7].

فثبت بهذه الآيات أن مشيئة الهدى والضلال، وإن كانت مُجْمَلَةً في هذه الآية، إلاَّ أنها مخصصة مفصلة في سائر الآيات، فيحمل هذا المجْمَلُ على تلك المفصَّلاتِ. ثم إن المعتزلة ذكروا في تأويل هذه الآية وُجوهاً: أحدهما: قوله: {مَن يَشَإِ الله يُضْلِلْهُ}[8] مَحْمَوُلٌ على مَنْعِ الألْطَافِ، فصاروا عندها كالصُّمِّ والبُكم.

وثانيها: يضلله يوم القيامة عن طريق الجنة، وعن وجدانِ الثوابِ؛ لأنه ثبت بالدليل أنه – تعالى – لا يشاء هذا الإضلال إلاَّ لمن يستحقه عقوبة، كما لم يشأ الهُدَى إلاَّ للمؤمنين.

واعلم أن هذه الوجوه التي تكَلَّفَهَا المعتزلة إنما تَحْسُنُ لَوْ ثَبَتَ في العقل أنه لا يمكن إجْرَاءُ هذا الكلام على ظاهرة، وقد دللنا على أنَّ هذا الفعل لا يحصل إلاَّ عند حُصُول الداعي، وبيَّنَّا أنّ خالق ذلك الداعي هو الله تعالى، وبيَّنَّا أن عند حصوله يجبُ الفعلُ في هذه المقدِّمَاتِ الثلاث، فوجب القَطْعُ بأن الكفر والإيمان من الله تعالى، وبتخليقه وتقديره وتكوينه[9].

{لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي}[10] يدلُّ على أن الهدايةَ ليست إلاَّ من الله، ولا يمكن حمل لفظ الهداية إلا على التمكينن وإزاحة الأعْذَارِ، ونَصْبِ الدلائل؛ لأن كل ذلك كان حاصلاً لإبراهيم عليه السلام[11].

---

(١) الانعام: من الآية:٣٩.

(٢) إبراهيم: ٢٧.

(٣) البقرة: ٢٦. .

(٤) مُحَمَّد: ١٧.

(٥) المائدة: ١٦. .

(٦) إبراهيم: ٢٧.

(٧) العنكبوت: ٦٩.

(٨) الآية: ٣٩.

(٩) اللباب ٨/ ١٣٣.

(١٠) الانعام: من الآية: ٧٧.

(١١) اللباب ٨/ ٢٤٩.

قال أهل السنة: المراد من الهداية إما وضع الأدلة أو خلق المعرفة، أما الأول فغير جائز؛ لأنه تعالى فعل ذلك في حق كل المكلفين، ولأن قوله: {يَهْدِي مَن يُرِيدُ} دليل على أن الهداية غير واجبة عليه بل هي متعلقة بمشيئته سبحانه، ووضع الأدلة عند الخصم واجب، فيبقى أن المراد منه خلق المعرفة[١].

وأما الهداية بمعنى الإلجاء والقسر فغير جائز. لأن ذلك عندهم قبيح من الله تعالى في حق المكلف، وفعل القبيح مستلزم للجهل أو الحاجة وهما محالان، ومستلزم المحال محال، فذلك محال من الله والمحال لا يجوز تعليقه على المشيئة، ولما بطلت الأقسام لم يبق إلاَّ أن المراد أنه تعالى يخصُّ البعض بخلق الهداية والمعرفة ويمنع البعض منها {لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ}[٢] وإذا أورد الكلام على هذا الوجه سقط ما أورد القاضي عذرا عن ذلك، وقوله: {وَهُوَ أَعْلَمُ بالمهتدين}[٣] أي أنه المختص بعلم الغيب فيعلم من يهتدي ومن لا يهتدي،[٤]

أن الهداية إلى الطّاعة محض نعمة وتفضل من الله تعالى (لا باستحقاقه) بوجه، والمراد بالهداية خلق القدرة على الطاعة وعند المعتزلة (تيسير) أسباب الفعل والتمكن منه (ومنح الألطاف) لأنهم يقولون: إن العبد يستقل بأفعاله ويخلقها[٥].

قالت الأشاعرة: في الآية دلالة على أن الهداية والضلال من الله تعالى وبيانه أن العبد قادر على الإيمان وعلى الكفر وقدرته بالنسبة إلى الأمرين سواء ولا يترجح إلا لداعية، ولا معنى للداعية إلا علمه أو اعتقاده أو ظنه بكون ذلك الفعل مشتملا على مصلحة زائدة، ومجموع القدرة مع الداعي يوجب الفعل، ولا بد أن تنتهي تلك الداعية إلى تخليق الله وتكوينه دفعا للتسلسل فإذا خلق الله تعالى في قلبه اعتقاد أن الإيمان راجح المنفعة- وهو المراد بشرح الصدر- مال القلب إليه، وإذا خلق في قلبه اعتقاد أن الإيمان بمحمد سبب للمفسدة الدينية والدنيوية نبا طبعه عنه وبقي على الكفر. فحاصل الآية أن من أراد الله منه الإيمان قوى دواعيه إليه، ومن أراد منه الكفر قوى صوارفه عن الإيمان[٦].

{مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي}[٧] أن ظاهر الآية موافق لمعتقد الأشاعرة بأن الهداية والضلال بل جميع الأفعال بخلق الله تعالى، والمعتزلة أولوها بأن المراد من يهد الله إلى الجنة والثواب فهو المهتدي في الدنيا، ومن يضلله عن الجنة والثواب يضلله عن طريق الجنة. وقال بعضهم: التقدير من يهد الله فقبل

---

(١) اللباب ١٤/ ٤٠.

(٢) الانبياء: ٣.

(٣) الانعام: من الآية:١١٧.

(٤) اللباب ١٥/ ٢٧٤.

(٥) ابن عرفة ١/ ١٠٣.

(٦) النيسابوري ٣/ ١٦٠.

(٧) الاعراف: من الآية:١٧٨.

هداه فهو المهتدي، ومن يضل بأن لم يقبل فهو الخاسر، وقيل: من يهده الله بالألطاف وزيادة الهدى فهو المهتدي، ومن يضلله عن ذلك بما تقدم منه[١].

أن من الناس من يهديه ومنهم من يضله. وأن الكل فاعلون لما يشاء[٢].

ونوع الراغب الهداية إلى أربعة انواع:

الأولى: الهداية التي عم بها كل شيء، بحسب حاله، كما قال {أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى}[٣].

الثاني: الهداية التي جعلها للناس، بدعائه إياهم على ألسنة الأنبياء، وإنزال القرآن، وهو المقصود بقوله {وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا} [٤]

الثالث: التوفيق الذي يختص به من اهتدى، وهو المعني بقوله {والذين اهتدوا زادهم هدى} [٥] و{ومن يؤمن بالله يهد قلبه} [٦]

الرابع: الهداية في الآخرة إلى الجنة، وهو المعني بقوله {الحمد لله الذي هدانا لهذا}[٧] {سيهديهم ويصلح بالهم}[٨] وقوله: (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) [٩]

وبسبب هذه الصفات ينالون الفلاح في الدنيا والآخرة، لأن الهداية والاستقامة فلاح لَا يدركه إلا من استقامت إلى الحق نفوسهم[١٠].

المطلب الثالث: الهدايات الموصلة الى سعادة الانسان

وإلى تلك الهدايات أشار الكتاب الكريم في آيات كثيرات كقوله:{وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ}[١١] أي طريقي الخير والشر والسعادة والشقاء. وقوله: {وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمى عَلَى الْهُدى} [١] أي أرشدناهم إلى طريق الخير والشر فاختاروا الثاني الذي عبر عنه بالعمى.

---

(١) النيسابوري٣/ ٣٨٤.

(٢) نظم الدرر ٩/ ١٠٤.

(٣) سورة طه ٥٠..

(٤) سورة الأنبياء ٧٣..

(٥) سورة مُحَمَّد ١٧.

(٦) سورة التغابن ١١..

(٧) سورة الأعراف ٤٣.

(٨) سورة مُحَمَّد ٥..

(٩) حاشية السيوطي ١/ ٢٣١.

(١٠) زهرة التفاسير٦/ ٢٩٧٤.

(١١) البلد: الآية:١٠.

وهناك نوع آخر من الهداية وهو المعونة والتوفيق للسير في طريق الخير، وهى التي أمرنا الله بطلبها في قوله: {اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ} إذ المراد- دلّنا دلالة تصحبها من لدنك معونة غيبية تحفظنا بها من الوقوع في الخطأ والضلال.

وهذه الهداية خاصة به سبحانه لم يمنحها أحدا من خلقه، ومن ثمّ نفاها عن النبي ﷺ في قوله: {إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ}[٢] وقوله: {لَيْسَ عَلَيْكَ هُداهُمْ وَلكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ}[٣] وأثبتها لنفسه في قوله: {أُولئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ}[٤] .

أما الهداية بمعنى الدلالة على الخير والحق، مع بيان ما يعقب ذلك من السعادة والفوز والفلاح، فهي مما تفضل الله بها على خلقه ومنحهموها، ومن ثم أثبتها للنبي ﷺ في قوله تعالى: {وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ}[٥] .

هذا- والصراط المستقيم هو جملة ما يوصل إلى السعادة في الدنيا والآخرة من عقائد وأحكام وآداب وتشريع ديني كالعلم الصحيح بالله والنبوة وأحوال الكون وأحوال الاجتماع- وقد سمّى هذا صراطا مستقيما تشبيها له بالطريق الحسى، إذ كل منهما موصل إلى غاية، فهذا سير معنوي يوصل إلى غاية يقصدها الإنسان، وذاك سير حسىّ يصل به إلى غاية أخرى.

وقد أرشدنا الله إلى طلب الهداية منه، ليكون عونا لنا ينصرنا على أهوائنا وشهواتنا بعد أن نبذل ما نستطيع من الجهد في معرفة أحكام الشريعة، ونكلف أنفسنا الجري على سننها، لنحصل على خيرى الدنيا والآخرة[٦].

قال تعالى: {مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي}[٧] أي من يوفقه الله لسلوك سبل الهداية باستعماله عقله وحواسه فيما خلقا له بمقتضى الفطرة وإرشاد الدين فهو المهتدى الذي شكر نعم الله عليه وأدى حقه عليه ففاز بسعادة الدنيا وسعادة الآخرة[٨].

وما على الرسل إلا التبليغ وليس عليهم الهداية، ولم يترك الله أمة دون أن يرسل إليها هادياً يأمر بعبادته، وينهاهم عن الضلال والشرك، فمنهم من استجاب دعوته، ومنهم من أضله الله على علم،

---

(١) فصلت: من الآية:١٧.

(٢) القصص: من الآية:٥٦.

(٣) البقرة: من الآية:٢٧٢.

(٤) الانعام: من الآية:٩٠.

(٥) الشورى: من الآية:٥٢.

(٦) المراغي ١/ ٣٦.

(٧) الاعراف: من الآية:١٧٨.

(٨) المراغي ٩/ ١١٢.

فحقت عليهم كلمة ربك، وأخذهم أخذ عزيز مقتدر، ثم أمرهم بالضرب في الأرض ليروا آثار أولئك المكذبين الذين أخذوا بذنوبهم، ثم ذكّر رسوله بأن الحرص على إيمانهم لا ينفعك شيئا، فإن الله لا يخلق الهداية جبراً وقسراً فيمن يختار الضلالة لنفسه، كما لا يجد أحداً يدفع عنه بأس الله ونقمته[١]، إن من اختار الضلالة ووجّه همته إلى تحصيل أسبابها فالله سبحانه لا يخلق فيه الهداية قسراً وإلجاءً، لأن مدار الإيمان والكفر الاختيار لا الإلجاء والاضطرار، وهدايته وإضلاله من أفعاله التابعة لعلمه وحكمته، يعطي الهداية من يستحقها فضلا ويمنعها من لا يستحقها عدلا.

وقوله تعالى:{إِنَّ عَلَيْنا لَلْهُدى}[٢] أي إن علينا أن نبين للإنسان طريق الهدى، ونكشف له عنه، بما أودعنا فيه من عقل، وما بعثنا إليه من رسل، وما أنزلنا من كتب.. فهذه كلها أنوار كاشفة تكشف للإنسان عن وجه الحق والخير، وعن وجوه الضلال والشر، ثم إن للإنسان أن يختار الطريق الذي يسلكه..

فالهدى، غير الهداية ولهذا جاء النظم القرآني: «إِنَّ عَلَيْنا لَلْهُدى» ولو جاء هكذا: «إن علينا للهداية» لكان على الله أن يهدى الناس جميعا، وأن يكون ذلك على سبيل القهر والإلزام، وهذا مالم يقع في حكمة الله، ولم يكن من تدبيره سبحانه وتعالى.. بل جعل الله للإنسان كسبا يكسبه بإرادته، وعملا بعمله باختياره، حتى يحقق وجوده كإنسان، ويثبت ذاتيته كخليفة الله على الأرض.. وبهذا يستأهل الثواب والعقاب!، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى:{وَلَوْ شِئْنا لَآتَيْنا كُلَّ نَفْسٍ هُداها}[٣]. وهذا لا يتعارض مع ما لله سبحانه من مشيئة مطلقة غالبة.. ولكنّ مشيئة الله تدور في فلكها مشيئة الإنسان، التي بها يقضى في أموره، ويأخذ الطريق الذي يختاره ويرضاه[٤].

والهداية إلى الصراط المستقيم، وهو في الدنيا السبيل إلى الآخرة؛ وذلك لأن الإيمان بالله تعالى حق الإيمان يضيء في القلب، فيعرفه السبيل القويم، الذي يوصل إليه تعالى، فمن آمن بالله فقد اهتدى إليه، ومن اعتصم به وبأوامره واجتنب نواهيه، فقد سلك طريقه، ومن سلك طريق الحق في الدنيا، كان في الآخرة أهدى، ومن ضل طريق الحق في الدنيا وغوى، فهو في الآخرة في الهاوية[٥]. الضمير في قوله تعالى: (وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ)، يعود على لفظ الجلالة، ذلك أن الهداية إلى الله تعالى هي ثمرة الإيمان به، وطريق النجاة، وبها يهتدي المؤمنون إلى أقوم سبيل، وصراط الله تعالى طريقه الذي يوصل إلى الغاية[٦].

---

(١) المراغي١٤/ ٧٩.

(٢) الليل: الآية:١٢.

(٣) السجدة: ١٣.

(٤) التفسير القرآني للقرآن ١٦/ ١٥٩٥.

(٥) زهرة التفاسير ٤/ ١٩٩٥

(٦) زهرة التفاسير ٤/ ١٩٩٥.

وهنا أمر نشير إليه، هو أن الهداية والضلال ليسا إجباريين لَا اختيار للعبد فيهما، كما يقول الجهمية ومن يسيرون في طريقهم، وليسا للعبد من كل الوجوه، كما يقول المعتزلة، ومن يسيرون في فجهم، وإنما الأمر أن للعبد اختيارًا في الطريق الذي يسيره، والله تعالى يوفقه فيه، فإن كان خيرًا خطا فيه إلى الغاية، وإن كان شرًا سار حتى الهاوية[١].

وهداية الله تعالى للإنسان على أربعة أوجه، **الأول**: الهداية التي عم بجنسها كل مكلف من العقل والفطنة والمعارف الضرورية التي أعم منها كل شيء بقدر فيه حسب احتماله كما قال تعالى: {رَبُّنَا الَّذِي أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدى}[٢] **الثاني**: الهداية التي جعل للناس بدعائه إياهم على ألسنة الأنبياء وإنزال القرآن ونحو ذلك وهو المقصود بقوله تعالى: {وَجَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا}[٣] **الثالث**: التوفيق الذي يختص به من اهتدى وهو المعنى بقوله تعالى: {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زادَهُمْ هُدىً}[٤] وقوله: {مَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ}[٥] وقوله: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمانِهِمْ}[٦]، **الرابع**: الهداية في الآخرة إلى الجنة المعنى بقوله: {سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بالَهُمْ}[٧].

وهذه الهدايات الأربع مترتبة فإن من لم تحصل له الأولى لا تحصل له الثانية بل لا يصح تكليفه، ومن لم تحصل له الثانية لا تحصل له الثالثة والرابعة، ومن حصل له الرابع فقد حصل له الثلاث التي قبلها، ومن حصل له الثالث فقد حصل له اللذان قبله. ثم ينعكس فقد تحصل الأولى ولا يحصل له الثاني ولا يحصل الثالث، والإنسان لا يقدر أن يهدى أحداً إلا بالدعاء وتعريف الطرق دون سائر أنواع الهدايات[٨].

فقد بين لنا الله تبارك وتعالى في منهجه بافعل ولا تفعل ما يرضيه وما يغضبه، وأوضح لنا الطريق الذي نتبعه لنهتدي. والطريق الذي لو سلكناه حق علينا غضب الله وسخطه، ولكن هل كل من بين له الله ﷻ طريق الهداية اهتدى؟ . . نقول لا. . واقرأ قوله ﷻ: {وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فاستحبوا العمى عَلَى الهدى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ العذاب الهون بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ}[٩] اذن هناك من لا يأخذ طريق الهداية

---

(١) زهرة التفاسير ٥/ ٢٤٩٣.

(٢) طه: من الآية:٥٠.

(٣) السجدة: من الآية:٢٤.

(٤) مُحَمَّد: من الآية:١٧.

(٥) التغابن: من الآية:١١.

(٦) يونس: من الآية:٩.

(٧) مُحَمَّد: الآية:٥.

(٨) الموسوعة القرآنية ٨/ ٦١٠.

(٩) فصلت: ١٧.

بالاختيار الذي أعطاه الله له، فلو أن الله ﷻ أرادنا جميعا مهديين، ما استطاع واحد من خلقه أن يخرج على مشيئته. ولكنه ﷻ خلقنا مختارين لنأتيه عن حب ورغبة بدلا من أن يقهرنا على الطاعة، ما الذي يحدث للذين اتبعوا طريق الهداية والذين لم يتبعوه وخالفوا مراد الله الشرعي في كونه؟

الذين اتبعوا طريق الهداية يعينهم الله ﷻ عليه ويحببهم في الايمان والتقوى ويحببهم في طاعته.

واقرأ قوله تبارك وتعالى: {والذين اهتدوا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ}[1] أي أن كل من يتخذ طريق الهداية يعينه الله عليه، ويزيده تقوى وحبا في الدين، أما الذين إذا جاءهم الهدى ابتعدوا عن منهج الله وخالفوه، فإن الله تبارك وتعالى يتخلى عنهم ويتركهم في ضلالهم[2].

نقول: إن الحق يهدي من شاء إلى صراط مستقيم؛ أي يبين الطريق إلى الهداية، فمن يأخذ بهداية الدلالة يزده الله بهداية المعونة وييسر له ذلك الأمر. ونحن نعلم أن الله نفى الهداية عن رسول الله ﷺ في آية، وأثبتها له في آية أخرى برغم أنه فعل واحد لفاعل واحد. قال الحق نافيا الهداية عن الرسول ﷺ : {إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ}[3].

والحق يذكر للرسول ﷺ الهداية في موضع آخر فيقول له: {وَإِنَّكَ لتهدي إلى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}[4].

ان الهداية والإضلال في الدنيا لا في الآخرة ويدل على ما ذكرنا قوله تعالى: {مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً}[5] والمرشد إنما يكون في الدنيا إلى طريق الدين، ولا يكون مرشدا في الآخرة[6].

وأما قوله تعالى: {وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ} فلا دليل له أن الهداية في الجنة هو الثواب، بل إدخاله الجنة لهم هو لثواب هدايته لهم في الدنيا إلى الأعمال الصالحة[7].

أهم النتائج

(١) الهداية والإضلال كلاهما بيد الله تعالى فعلى العبد أن يطلب الهداية من الله تعالى ويسأله أن لا يضله. الهداية بيد الله ألا فليطلبها من أرادها من الله بصدق القلب وإخلاص النية فإن الله تعالى لا يحرمه منها، ومن أعرض عن الله أعرض الله عنه.

---

(١) مُحَمَّد: ١٧.

(٢) الشعراوي ١/ ٨٥.

(٣) القصص: ٥٦.

(٤) الشورى: ٥٢.

(٥) الكهف آية (١٧)

(٦) الانتصار في الرد على المعتزلة ١/ ٢٨٢.

(٧) الانتصار في الرد على المعتزلة ١/ ٢٩٠.

(٢) أن الذي يخلق الهداية هو الله تعالى وأما العبد فليس له أكثر من الكسب.

(٣) القرآن نور وأعظم نور فمن لم يهتد عليه لا يرجى له الهداية أبداً.

(٤) يخص الله تعالى بعض خلقه بخلق الهداية ومعرفة طريق الجنة، ويمنع البعض منها، ولا يسأل عما يفعل.

(٥) ليس معنى الهداية والضلال القسر والإلجاء عليهما فذلك غير جائز شرعاً وعقلاً، وأن الهداية ليست في مقدور أحد سوى الله تعالى.

(٦) ان اكمل المطالب للإنسان في الهداية هو الهداية في الدين.

(٧) الأمر بالاستقامة في الدين وهو أمر ثقيل شديد على النفس، يتطلب جهاد النفس، والصبر على أداء الواجبات، وحمايتها من الموبقات المهلكات.

(٨) أن كل من هداه الله تعالى إلى الجنة بسبب الإيمان فإنه يفرح بسبب تلك الهداية وينشرح صدره للإيمان مزيد انشراح بسبب ذلك.

(٩) الاعتصام بالله والتوكل عليه هو العمدة في الهداية، والعدة في مباعدة الغواية، والوسيلة إلى الرشاد، وطريق السداد، وحصول المراد.

المحتويات

مقدمة ١

المبحث الاول: التعريفات ٢

المطلب الاول: الهداية في اللغة والاصطلاح ٢

المطلب الثاني: الاستقامة في اللغة والاصطلاح ٤

المطلب الثالث: الاسعاد في اللغة والاصطلاح: ٦

المبحث الثاني: لطائف الهداية في (اهدنا الصراط المستقيم) ٦

المبحث الثالث: مراتب الهداية وانواعها ١٠

المطلب الاول: مراتب الهداية ١٠

المطلب الثاني: انواع الهداية ١١

المبحث الرابع: الهداية من الله ١٣

المبحث الخامس: اثر الهداية والاستقامة على اسعاد الانسان في الدنيا والآخرة ٢١

المطلب الاول: اثر الهداية والاستقامة على اسعاد الانسان في الدنيا ٢١

المطلب الثاني: اثر الهداية والاستقامة على اسعاد الانسان في الآخرة ٢٥

المطلب الثالث: الهدايات الموصلة الى سعادة الانسان ٣٠

أهم النتائج ٣٥
المحتويات ٣٥